الفصل الرابع

obeikandl.com

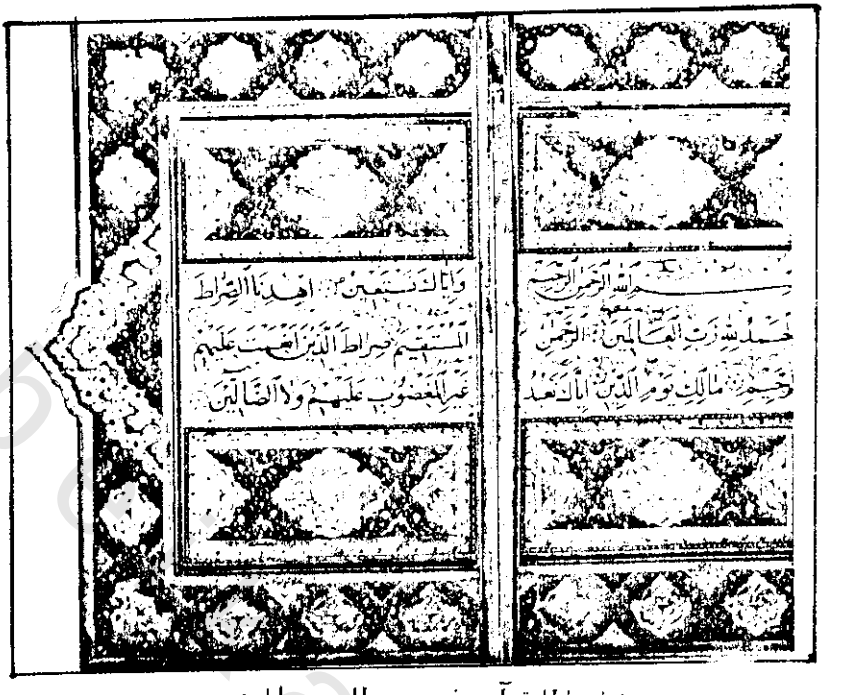

مخطوط القرآن فريد الجمال،
المكتوب بناء على طلب الوزير الاعظم محمد
باشا صركولوفيتش، ولم يكشف عنه الا سنة ١٩٠٢ في
مسقط راسه في قرية صركولوفيتشي قرب فيشي غراد.

Noć početka objavljivanja Kur'ana

O ramazanu, mjesecu akcija i svih naših stremljenja s razlogom govorimo najbiranijim riječima i pišemo najkićenijim stilom. Tada najviše govorimo i o Kur'anu, objavljenom u ovom mjesecu, u blagoslovljenoj noći Kadr, u kojoj dolazi na vrhunac naša odanost Bogu dž.š. Naša svijest o ovoj noći je oplemenjena najdivnijim saznanjima koja smo slušali od svog rođenja u našim kućama i džamijama i sa najvećom čežnjom iščekivali dolazak tog trenutka da bi se naša dova i naše najčuvenije tajnovitosti iz nas digle Allahu dž.š.

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ.
وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ.
لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ
شَهْرٍ. تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ
أَمْرٍ. سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ
الْفَجْرِ.

تفسير معاني
(سورة القدر) باللغة البوسنية

- البوسنة والهرسك حتى الحرب العالمية الأولى
- بين الحربين
- التأثيرات الاسلامية في الأرض اليوغسلافية
- التراث الاسلامي

obeikandl.com

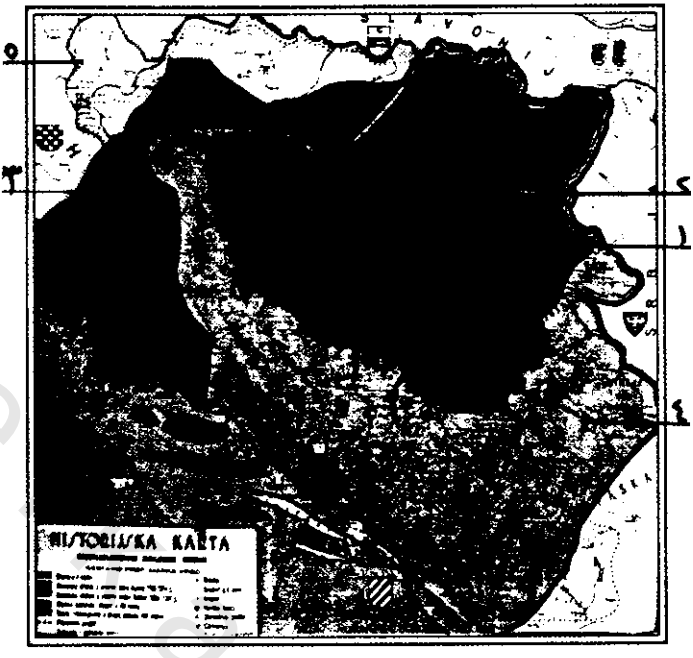

الخريطة التاريخية لدولة البوسنة في العصور الوسطى

شعار البوسنة من عهد أسرة ملكية (كوتروماتيشي)

البوسنة والهرسك

فذلكة تاريخية:

تاريخ البوسنة والهرسك يعود الى عهدٍ مغرق في القدم، وهي تقبع في الركن الجنوبي الغربي لشبه جزيرة البلقان، كجسر عبرت عليها شعوب مختلفة منذ أقدم العصور أثناء هجرتها من الشرق والشمال، إنها منطقة ضمت ثقافات الشرق والغرب وقومياتهما، وتوجد فيها آثار تدل على أنها كانت مأهولة منذ عصر «باليوليت BALEOLIT، حيث وجدت أقدم الآثار التي كشف عنها العلماء ومازالت باقية الى الآن شاهدة على الحضارات الغابرة[1].

وأقدم الآثار وأهمها في البوسنة أطلال «بتمير BUTMIR في سراجيفو، ويرجع تاريخه الى العصر الحجري. كانت البوسنة والهرسك قبل العهد الروماني تحتلها قبائل «اليرية ILIRI» مختلفة وكان الاليريون ينقسمون الى قبائل صغيرة، ووصف الكتّاب المتقدمون،: من كان يعيش على الشاطيء بأنهم «قراصنة»، ومن كان يعيش في الجبال بأنهم «قطاع طرق»، ولم يتمكن الرومان من اخضاعهم إلا بعد حروب طويلة[2].

---

(١) انظر: الأندلس الثانية ص(٨ ـ ١٠).
(٢) انظر: دائرة المعارف الاسلامية (م٤ ص٢٩٢ ـ ٢٩٦).

وانضمت أرض البوسنة الى ولاية «رومية» بعد الحرب بين الاليريين والروم في القرن الثالث الميلادي. وبعد سقوط المملكة الرومية واستيلاء قبيلة القوط الشرقيين «غوت GOT» أصبحت البوسنة جزءاً منها.

وفي القرن السادس، استولت قبيلتا «السلاف والآفار»على البوسنة، وبعد رحيل «الآفار » أصبحت البوسنة تحت حكم المملكة الشرقية، ثم استقلت القبائل السلافية في تلك المنطقة.

ذكر اسم «بوسنة» لأول مرة، في أواسط القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري)، في نسخة للملك البيزنطي «قسطنطين بورفيرو» كمنطقة صغيرة واقعة حول مجرى نهر البوسنة الأعلى والأوسط وأثناء تكوين الدولة البوسنوية أطلق اسم «البوسنة» على جميع المناطق التي انضمت اليها[٣].

حقيقة اسمي البوسنة والهرسك:

فيما أصل تسمية «الهرسك» معروف لايزال اسم «البوسنة» مجهول الأصل حتى الآن. تقول الروايات ان لفظ «الهرسك» عبارة عن لقب اشتهر بين الملوك في بلدان العصور الوسطى، حيث لم تكن للديانات ولا للأرض ألقاب أو شعارات في تلك العصور، بل كانت فقط من حق الملوك!

وكان الملك «سبتيان مولجيج كوسا» أول من حمل لقب الهرسك، وذلك عام ١٤٤٨م، وقد بقي هذا اللقب بعد الفتح العثماني، فنسبت الأرض الى حامل اللقب، فأصبحت الأرض تعرف باسم «الهرسك»، وهي جزء من جمهورية البوسنة والهرسك.

أما كلمة «البوسنة» فقد اختلفت الروايات بشأنها، فمن قائل أنها نسبة الى نهر البوسنة الجاري في أراضيها، أو أنها عرفته القبائل السلافية الآتية

---

(٣) انظر: الأندلس الثانية (ص٨ ـ ١٠).

من القوقاز، وجاءت بها (باللفظة) معها، أوأنه اسم مشتق من كلمة «باساتني» القديمة، أو أنه مشتق من كلمة«بان» وتعني ملح، حيث تشتهر بعض مناطقها بكثرة الملح كمدينة «توزلا[٤].» (وبعض الأقوال تنسب اسم البوسنة الى أهلها «البشناق»).

نشوء الدولة البوسنوية المستقلة:

(في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) برزت البوسنة منطقة مستقلة على نفس الدرجة التي كانت عليها مملكة كرواتيا وراشكا (RAŠKA) المجاورتين لها.

ثم بدأت الخلافات تقع بين أهل المنطقة والصراع على السلطة والمنافسة على الحكم، الأمر الذي ساعد البيزنطيين في الاستيلاء على الحكم.

سيطر البيزنطيون على شبه جزيرة البلقان كلها بما فيها البوسنة، الا أن سيطرتها على البوسنة لم تكن كاملة، عام ١٠١٨م (٤٠٩هـ) وتحقق لها الاستقلال في القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري) عن البيزنطيين، وتكونت لها حكومة وطنية ممثلة من أهلها يرأسها «بانBAN» (حاكم أقل درجة من الملك أو من حاكم البوسنة BRINCEPS)[٥]

وتجدر الأشارة الى أن الحدود السياسية للبلاد التي صاغتها اتفاقيات السلام الدولية ابتداء من عام ١٦٩٩-١٩٧٩م-(١١١١-١٣٩٩هـ) جاءت متلائمة الى حد بعيد مع الخواص الطبيعية والجغرافية للأرض[٦].

---

(٤) انظر: مجلة البلاد اللبنانية العدد ١٣٢ السنة الثالثة، ١ذو الحجة ١٤١٣هـ و٢٢أيار ١٩٩٣م (ص٢٨).

(٥) انظر: الأندلس الثانية (ص١٠).

(٦) انظر: النشرة الاخبارية لمنظمة المؤتمر الاسلامي، العدد ٣١/ شوال ١٤١٣هـ -ابريل (نيسان) ١٩٩٣م (ص١٢).

أول حاكم للبوسنة

ان أول حاكم للبوسنة نعرفه، هو «بوريس BORIC ١١٥٤ ـ ١١٦٣م (٥٤٩ ـ ٥٥٨هـ) جاء بعد أسرة ملكية سابقة.

ثم «كولين KULIN» ١١٨٠ ـ ١٢٠٤م (٥٧٦ ـ ٦٠٠هـ) يعتبر اول حاكم مستقل، استقلت بلاده استقلالا تاما، وانتعش الإقتصاد، ونشطت التجارة مع المناطق المجاورة، وكثر استخراج المعادن من باطن الأرض.. ويذكر التاريخ أن «كولين» قدوقع اتفاقا تجاريا بين البوسنة وبين مدينة «دبروفنيك» سنة ١١٨٩م (٥٨٥هـ) ٢٩آب (أغسطس) ٢١رجب، ويعتبر هذا الاتفاق أقدم وثيقة دبلوماسية لدولة البوسنة وهي اليوم في مدينة «بتروغراد BETROGRAD الروسية[٧].

كان حكّام البوسنة منذ بداية الدولة البوسنوية في القرن الثالث عشر وحتى ١٣٧٧م (٧٧٩هـ) يحملون لقب «البان» بينما حمل البان «تفرتكو» لأول مرة لقب الملك«KRALJ»في التاريخ المذكور، وهو اللقب الذي بقي مستعملا حتى سقوط البوسنة بيد العثمانيين عام ١٤٦٣م (٨٦٧هـ).. وفي عهد البان «تفرتكو» عادت مزدهرة ووصلت في عهده الى ذروة توسعها ونفوذها السياسي. وفي نهاية القرن الرابع عشر الميلادي (الثامن الهجري) كانت البوسنة هدفاً لدولتين كبيرتين تتصارعان للاستيلاء على المنطقة وهما دولتا: المجر والامبراطورية العثمانية، وخضعت البوسنة للمجر ولكن أميرها الهرسك «هرفوية» استنجد بالعثمانيين الذين ساعدوه على انتصاره على الجيش المجري في ١٤١٥م(٨١٨هـ)، ودبّ الضعف في الدولة البوسنوية حتى بسطت الدولة العثمانية سلطتها عليها وتم فتحها في عام ١٤٦٣م ـ ٨٦٧هـ بقيادة السلطان «محمد الفاتح»[٨]

---

(٧) انظر: الأندلس الثانية (ص١١).

الموقع الجغرافي والمساحة:

تترامى البوسنة والهرسك فوق مساحة من الأرض تبلغ (٥١,٥٦٤) كيلومترا مربعا، وبهذا، يبلغ نصيبها من الربوع اليوغسلافية (٢٠٪). والجمهورية تتوسط هذه الربوع، حتى أن المركز الجغرافي يقع غير بعيد عن سراجيفو، عاصمة البوسنة والهرسك. تقع بين خطي العرض (٤٢,٢٦ و ٤٥,١٥ درجة) الى الشمال من خط الأستواء، وبين خطي الطول (١٥,٤٤ و ١٩,٤١° شرقي «غرينتش»). ومن جهة التضاريس والتركيب الجيولوجي، فإن ماحبت الطبيعة جمهورية البوسنة والهرسك من جبال، وأنهار، ووديان، وسهول، قد أضفى عليها قدراً هائلاً من الإثارة والروعة.

في الشمال يقع سهل «بانونيا» العريض المترامي الأطراف، فإذا يمّمنا وجهنا شطر الجنوب فسوف ترتفع الأرض بنا متموّجة، آخذة في العلوّ الى مايزيد عن (٢٠٠٠) متر فوق سطح البحر، ثم تهبط بنا نفس الأرض تارة أخرى لتنتهي الى البحر الأدرياتيكي. أما إطلالة البوسنة والهرسك، التي تتنفس منها وتتنشق نسيم هذا البحر، فتبلغ من شاطئه حوالي، (عشرين كيلو مترا)، وبلدة «نيوم neum» هي الوحيدة التي تقع على شاطيء البحر من جمهورية البوسنة والهرسك.

---

(٨) انظر: الاسلام في يوغسلافيا، من بلغراد الى سراييفو/ د.محمد . م . الأرناؤوط، دار البشير، عمان - الاردن ط١ ١٤١٣هـ ١٩٩٣م (ص١٥٨ - ١٥٩).

والجمهورية تحتضن الشيء الكثير من المناظر الطبيعية الخلابة الجميلة، التي تتألف وتتسق من تلك الأجزاء من سهل «بانونيا» والمناطق الجبلية التي تتلاءم قممها وصخورها مع بيئة البحر المتوسط، ثم الانهار العديدة التي تنساب أو تندفع هنا وهناك والبحيرات ذات الخضرة الزمرّديّة، وعندما تلف الجبال حول قممها العمائم الثلجية البيضاء الناصعة فان الشمس تغرق بأشعتها شاطيء الأدرياتيكي لينعم بما تجلب من دفء وحرارة؛ كل شيء متآلف متناسق: جبال ذات انحدار، ومراعٍ أنيسة وادعة، بقايا أدغال وآجام، ووديان وسهول خصيبة، وبحيرات جليدية، وينابيع للمياه الحارة، وبيئة متوسطية، وعلاوة على هذا كله، فقد كانت البوسنة والهرسك الأرض التي فتحت صدرها لتتلاقى فوقها الخواص المميزة لفنون العمارة والفنون الشعبية اليوغسلافية التي نالت البوسنة بتفردها وتلوّنها الفاتن، السحر والنضارة[٩]

تقع جمهورية البوسنة والهرسك بين مصبي نهرين، فبالرغم من أن الأرض الجبلية قد تكاثرت في البوسنة والهرسك، الا أنها تتمتع بالعديد من المجاري المائية. وهي تنقسم من حيث الهيدروغرافيا الى نظامين لانصباب المياه، أحدهما ينطلق الى البحر الأسود، والثاني الى البحر الأدرياتيكي، ويحجب كل منهما عن الآخر سلسلة الجبال الدينارية الشاهقة.

وأهم ماتتميز به أنهار البوسنة والهرسك هو أنها تخترق الكتل الصخرية وتجري في الوهاد .. وتكون وديانها ضيقة، مثل نهر «نيرتفا» و«درينا» و«فرباس» و«أونا» وكثير من الروافد. ولهذه الأنهار ميزة أخرى هي درجة تحدّرها الشديدة من منبعها الى مصبها.

في القسم الجنوبي الشرقي من الجمهورية، تقابل ظاهرة الهيدروغرافيا

---

(٩) انظر: حقائق عن جمهورية البوسنة والهرسك/ وزارة الإعلام بالجمهورية، سراييفو ١٩٧٧م (ص٧ و ٨).

القشرية.

فهنا تنسلّ الأنهار غائبة تحت سطح الأرض، لتعاود الظهور فوق السطح لمسافات قصيرة متقطعة.

وأشهر هذه الأنهار نهر «تريبيشنيتسا» الذي يبلغ طول مجراه فوق سطح الأرض (٩٣,٨كم) ويليه نهر «شوبيتسا» (٤٤,٣كم)، و«زلومكا» (٤٢,٦كم)، ونهر «موشنيتشا» (٣٧,٧كم) فوق سطح الأرض.

أما عن البحيرات، فكثير منها يقصدها السياح، ومنها بحيرات: «بليفسكا» بالقرب من بلدة «يايتسي»، وبحيرة «بوراك» أسفل جبل برين، ثم بحيرات «زيلينجورا». وأما البحيرات الباردة الناشئة عن ذوبان الثلوج والجليد والتي تحتوي البوسنة والهرسك على العديد منها، فأهمها مجموعة البحيرات الواقعة فوق جبال «تريسكا ليتسا»، وهي على أرتفاع بين (١,٧٠٠ و ١,٥٥٠ م) فوق سطح البحر، وقد اتخذت جميعها أحواضا لتربية الأسماك، وهناك بحيرات عديدة أخرى طبيعية وصناعية.

وتتتميز الثروة الهيدروغرافية للبوسنة والهرسك ميزة هامة هي وفرة المياه المعدنية الأخرى. ـ الملحية والحامضة وذات الاشعاع، والقلوية في مختلف أنحاء الجمهورية.

التضاريس

ان تضاريس البوسنة والهرسك شديدة التنوع والتعقيد فتصل أعلى قمة فيها عن سطح البحر من جبل «ماغليتش» ـ وهو يعد أعلى جبال البوسنة والهرسك ـ الى (٢٣٨٦) متراً

المُناخ :

يسود البوسنة والهرسك نوعان من المُناخ. فالجزء الجنوبي منها يتميز بمناخ البحر المتوسط الذي يعتدل شتاؤه، في حين ترتفع الحرارة الى حد

كبير في بعض المواضع، ويسقط المطر بكثرة وبعض الثلج في فصل السنة البارد. والنوع الثاني من الطقس في الجمهورية يسود نصفها الشمالي، وهو قاري السمات، تشتد برودة شتائه وحرارة صيفه. أما درجة الحرارة فهي متفاوتة تفاوتاً شديداً من فصل لفصل، ومن منطقة لمنطقة، وأشدّ المدن حرارة «ستولاتس وموستار» (حوالي ٥٠ درجة مئوية) وأشد الاماكن برودة هي بلدة «مراز يشته» حوالي (٤٠ درجة تحت الصفر)[١٠].

السكان:

بلغ عدد سكان جمهورية البوسنة والهرسك حسب أحصاء (١٩٧١م - ١٣٥١هـ) الرسمي (٣,٧٤٦,١١١) نسمة أي (١٨,٥٪) من مجموع سكان يوغسلافيا - السابقة -.

موزعين حسب انتمائهم القومي كما يلي:

عدد السكان	القومية	النسبة المئوية
١,٤٨٢,٤٣٠	المسلمون	٣٩,٦٪
١,٣٩٣,١٤٨	الصرب	٣٧,٢٪
٧٧٢,٤٩١	الكروات	٢٠,٦٪
٩٨,٠٤٢	قوميات أخرى	٢,٦٪

ونسبة تكاثر السكان العادية في البوسنة والهرسك عالية جداً، حيث تبلغ (١٣,١) بالنسبة لكل ١,٠٠٠ من السكان، وذلك نظرا الى أن النسبة اليوغسلافية تبلغ (٩,٤٪). أما من حيث كثافة السكان، فيعيش في البوسنة والهرسك (٧٣ نسمة) في الكيلومتر المربع، في حين بلغ المستوى اليوغسلافي (٨٠٪) نسمة في الكيلومتر المربع[١١].

---

(١٠) انظر: المصدر السابق (ص٩-١٤).

حال المسلمين السكانية (الديموغرافية) في جمهورية البوسنة والهرسك بين عامي ١٨٧٩ و١٩٣١م (١٢٩٦ و١٣٥٠هـ) ولقد تزايد المسلمون حسب الاحصاءات الرسمية كما هو مبين في الجدول التالي:

السنة	مجموع السكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين المئوية
١٨٧٩	١,١٥٣,٠٠٠ نسمة	٤٤٩,٠٠٠	٪٣٨,٧
١٨٩٥	١,٤٩٦,٠٠٠	٥٤٩,٠٠٠	٪٣٥
١٩١٠	١٨٤٨,٠٠٠	٥٨٨,٠٠٠	٪٣٢,٣
١٩٢١	١,٨٨٦,٠٠٠	٦١٣,٠٠٠	٪٣١,١
١٩٣١	٢,٢٩٠,٠٠٠	٧١٧,٠٠٠	٪٣٠,٩

نستنتج من هذا الجدول أن المسلمين في تلك الفترة التي دامت (٥٢ سنة) لم يزدادوا الا بمقدار (٦٠٪) بينما ازداد غيرهم بمقدار (١٢٣٪) في نفس الفترة. أي كان تزايد النصارى ضعف تزايد المسلمين. وبهذا انخفضت نسبة المسلمين المئوية في ولاية البشناق. كان المسلمون في بلاد البشناق والهرسك اكثرية ايام الحكم العثماني، ولم يؤخذ احصاء ١٨٧٩م زمن الاحتلال النمساوي الابعد أن هاجر الكثير من المسلمين الى تركيا وجيء بالكثير من النصارى الى بلاد البشناق لتعمير الأراضي الفارغة وخاصة من الكاثوليك.

وأسباب انخفاض نسبة المسلمين متعددة: أولها هجرة أكثر من (٣٠٠,٠٠٠) بشناقي مسلم عدا الأتراك والقوميات الأخرى. وثانيها: جلب النمسا للمعمّرين الكاثوليك للاستيطان في الأراضي الاسلامية. ثالثها: هو ضعف التزايد الطبيعي للمسلمين لحالتهم المعنوية والصحية والاقتصادية السيئة[١٢].

---

(١١) انظر: حقائق عن جمهورية البوسنة والهرسك (ص١٧).

أمّا التغيرات التي طرأت على النسبة المئوية بين طوائف جمهورية البوسنة والهرسك بين عامي (١٣٧٢/٧٣هـ - ١٤١١/ ١٢هـ و ١٩٥٣ - ١٩٩١م) فهي كمايلي[١٣]:

السنة	عدد السكان	المسلمون	الصرب	الكروات	يوغسلاف *
١٩٥٣م	٢,٨٤٧,٤٥٩ نسمة	٣١,٣٪	٤٤,٠٪	٢٣٪	١,٣٪
١٩٦١م	٣,٣٧٧,٩٤٨ نسمة	٢٥,٧٪	٤٢,٩٪	٢١,٧٪	٩,٧٪
١٩٧١م	٣,٧٤٦,١١١ نسمة	٣٩,٦٪	٣٧,٢٪	٢٠,٦٪	٢,٦٪
١٩٨١م	٤,١٢٤,٢٥٦ نسمة	٣٩,٥٪	٣٢٪	١٨,٤٪	١٠,١٪
١٩٩١م	٤,٣٥٤,٩١١ نسمة	٤٣,٧٪	٣١,٣٪	١٧,٣٪	٧,٧٪

* يوغسلاف: هم السكان الذين اعتبروا الاتحاد اليوغسلافي السابق قد صَهرَهم في قومية واحدة وسمّوا أنفسهم «يوغسلافاً» ولم يذكروا القومية الأصلية التي انحدروا منها، (المؤلف).

(من الملاحظ أن الزيادة التي طرأت على النسبة المئوية لمسلمي البوسنة والهرسك خلال الفترة السابقة هي: «١٢,٤٪» بينما تراجعت نسبة الصرب والكروات على السواء خلال الفترة نفسها فنقصت نسبة الصرب «١٣,١٪» ونقصت نسبة الكروات «٥,٧٪» ومن دعوا أنفسهم «يوغسلافاً» ازدادت

---

(١٢) انظر: المسلمون في المعسكر الشيوعي (ص٨١ و٨٢).

(١٣) انظر: النشرة الاخبارية لمنظمة المؤتمر الاسلامي - العدد٣١ - شوال ١٤١٣هـ ابريل / نيسان ١٩٩٣م (ص٧ - ١٤).

نسبتهم «٦,٤٪».

وترتبط زيادة نسبة المسلمين بأمرين:

الأول: ان نسبة المواليد لدى العائلات الاسلامية - بكل بلد يسكنه مسلمون - هي أعلى بشكل طبيعي من غيرهم من السكان!.

الثاني: يرتبط بالتعديلات الدستورية التي طرأت على دستور الاتحاد اليوغسلافي السابق في تلك الفترة، مما أعطى حرية أكبر في التعبير عن الذات، بعد اعتبار الاسلام «قومية» في يوغسلافيا السابقة، وهذا ما وضّح عدد المسلمين الحقيقي، كأكبر شعب في جمهورية البوسنة والهرسك بالنسبة للصرب والكروات الذين تضمهم الجمهورية.)

الوضع الاجتماعي لسكان البوسنة والهرسك عام (١٣٥٠هـ - ١٩٣١م):

في احصاء ١٩٣١م تبين أن ٧٢٪ من السكان أميون - من الذين تزيد أعمارهم عن عشرة أعوام، وما يزيد عن (٨٤٪) من السكان، يمارسون الزراعة، (٤٠٪) فقط من الأطفال كانوا بالمدارس، كما بلغت نسبة الوفيات بين الأطفال (٣٥) مرة زيادة عنها في مناطق يوغسلافيا الأكثر تطورا، و(٦,٧٪) فقط من السكان في البوسنة والهرسك، كانوا يعملون في الصناعات والمهن[١٤].

الوضع السكاني (الديموغرافي)بين عامي (١٣٥٠ - ١٣٩١هـ، ١٩٣١ - ١٩٧١م) لمسلمي البوسنة والهرسك:

بعد الحرب العالمية الثانية، سيطر الحزب الشيوعي على الحكم في

---

(١٤) انظر: البوسنة والهرسك (ص١١).

يوغسلافيا، فضيّق على المسلمين كما ضيّق على غيرهم .. ومع ذلك تحسنت نسبة تزايدهم مع تحسن حالهم، فكان تزايدهم في البوسنة والهرسك كمايلي[١٥]:

عدد المسلمين	السنة	النسبة المئوية من مجموع السكان
٧١٧,٠٠٠ نسمة	١٩٣١م	٣٠,٩٪
١,٠٨٢,٠٠٠ نسمة	١٩٦١م	٢٥,٧٪
١,٤٨٢,٠٠٠ نسمة	١٩٧١م	٣٩,٦٪

عَلَم جمهورية البوسنة والهرسك:

(يتألف من أرضية باللون الأخضر وبوسطها هلال أبيض ونجمة خماسية الأشعة.)

شعار البوسنة:

شعار جمهورية البوسنة والهرسك، فهو قديم، عبارة عن درع أزرق، مرسوم عليه ست زنابق يفصلها خط أبيض في منتصف الدرع. صاحب الدرع والشعار، هو الملك «تفركابرقوق كوترومانج» الذي ورث عمّه في الملك، وحكم البوسنة وصربيا والجبل الأسود وأجزاء من كرواتيا. وتشير الزنابق الست الى البريّة الجميلة، والنظيفة التي تشتهر بها البوسنة، حيث تكثر بها الزنابق التي نجدها على شواهد القبور لاسيما قبور الابطال البوسنيين، وكذلك في رسومهم، أما الخط الأبيض في منتصف الدرع، فعلامة على أن حامل الدرع ورث المُلك عن طريق غير مباشر، أي ليس عن طريق والده، بل عن عمّه[١٦]!

---

(١٥) انظر: المسلمون في المعسكر الشيوعي (ص٨٤ - ٨٧).

العاصمة: سراجيفو (سراييفو). أشهر مدن الجمهورية: موستار، بانيالوكا، توزلا، بيهاتش[١٧] ...

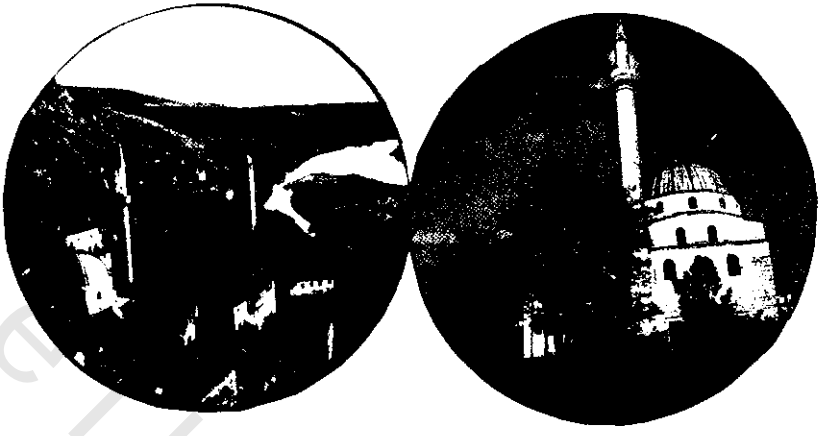

شعار البوسنة

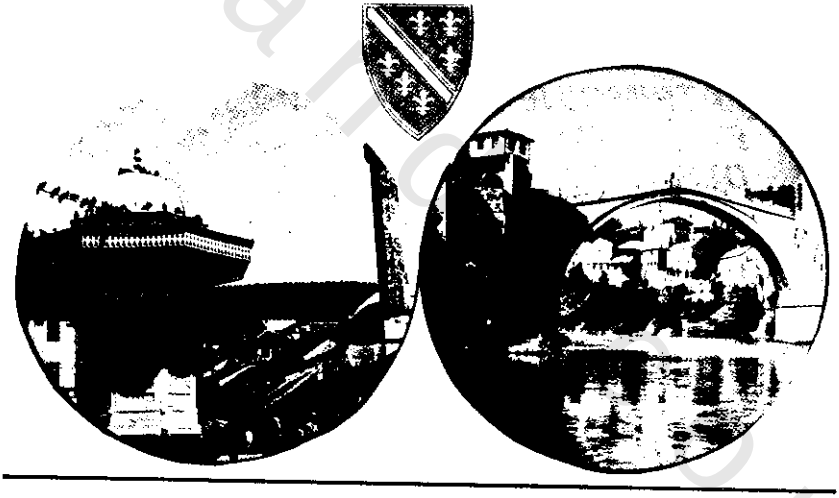

(١٦) مجلة البلاد العدد ١٣٢٠ ذو الحجة ١٤١٣هـ و٢٢أيار ١٩٩٣م (ص٢٨).

(١٧) انظر: العاصمة ومدن الجمهورية في الفصل الخامس ـ التالي ـ مع مدن اسلامية أخرى من جمهوريات يوغسلافيا السابقة.

عملة سنيبان الثاني حاكم بوسنة من القرن ١٤

أدوار الحكم في البوسنة والهرسك

.. انقسمت البوسنة والهرسك الى مناطق تعرف باسم «بانات». و يحكم كل منها «بان» وهذا الاسم من اصل أفاري... ـ ويمكننا ان نقسم تاريخ البوسنة من عام ١١٣٧ ـ ١٨٧٨ م (٥٣١ ـ ١٢٩٥ هـ) الى ستة عصور:

١ ـ البوسنة تحت حكم البانات، وقد حكموا البلاد بأسرها من عام «١٣٧٧ ـ ١٤٦٣ م».

٢ ـ البوسنة عندما كان يحكم بانات أجزاء مختلفة في وقت واحد.

٣ ـ عصر «القطرمانين KOTRMANS[١٨]». من عام «١٣١٤م ـ ١٣٧٧م».

٤ ـ مملكة البوسنة ودوقية «سان سافا» من عام «١٣٧٧ ـ ١٤٦٣م»

٥ ـ انقسام البلاد بين المجر والدولة العثمانية من عام «١٤٦٣ ـ ١٥٢٨م».

٦ ـ البوسنة تصبح ولاية من ولايات الدولة العثمانية من عام «١٥٢٨ ـ ١٨٧٨ م » (٩٣٤ ـ ١٢٩٥هـ)[١٩]

---

(١٨) القطرمانين: نسبة الى أسرة «قطرمان» التي ظهرت في البوسنة «١٣١٤ م» ومنها «استيفان قطرمانوفيتش»، انظر: دائرة المعارف الاسلامية (م٤ ص ٣٩٦)

(١٩) انظر : المصدر السابق (٤/ ٢٩٢ ـ ٢٩٦).

ـ ..... عندما فتح العثمانيون البوسنة والهرسك ، اصبحت ـ أولا ـ باشوية كبرى تضم ثمانية سناجق. وهذه السناجق لاتمتد على البوسنة والهرسك فحسب ، وإنما أيضا على قسم من كرواتيا وسلوفينيا ودالماسيا[٢٠].

وفي القرن التاسع عشر أمسكت الطبقة النبيلة البوسنوية المسلمة إدارة البلاد، تقاسمت مع الانكشارية الذين كان زعمائهم منعمين باقطاعات عسكرية.... وحاولت المنطقة ان تنجو من الخدمة العسكرية عندما ألغى السلطان «محمود الثاني» عام «١٨٢٦ م» و(١٢٤١ هـ) الجيش الانكشاري، وأراد أن يفرض في الامبراطورية العثمانية ـ كلها ـ التجنيد النظامي ، فثارت البوسنة واضطرت أن تناضل الامبراطورية ست سنوات ضد البشناقيين قبل أن تخضع البلاد[٢١].

الفتح العثماني للبوسنة:

دخل الجيش العثماني البوسنة سنة ١٤٦٣م (٨٦٧هـ) بقيادة السلطان «محمد الفاتح» ولم يجد مقاومة تذكر، فكانت المدن البوسنوية الحصينة تستسلم مدينة بعد الأخرى.

..أقبل الناس على العثمانيين وعلى الدين الاسلامي لما رأوا فيه من سماحة وحرية دينية على خلاف ماعُرف في أوروبا.

تنظيم الحكم:

نظم العثمانيون الحكم في وحدات ادارية جديدة بعد فتحهم للبوسنة:

١ ـ سنجق بوسنة.

---

(٢٠) انظر: تاريخ الحركات القومية في أوروبا (٤/ ٣١٩).
(٢١) المصدر السابق نفسه.

٢ ـ سنجق الهرسك في جنوب الدولة، وقاموا بتأسيس وحدات ادارية جديدة تبعا لاتساع دولتهم.

وقد اتحدت هذه الوحدات (السناجق) في ولاية بوسنوية سنة ١٥٨٠م (٩٨٨هـ) وتعتبر الولاية العثمانية الوحيدة المكونة من الدول السلافية فقط، وقد ظلت هذه الولاية حتىسنة ١٨٥٠م (١٢٦٦هـ)[٢٢].

بداية تواجد الصربيين في البوسنة:

.. لكثرة الخسائر البشرية نتيجة الحروب والأمراض، استعان أغنياء المسلمين بالأيدي العاملة التي جلبوها من المناطق الشرقية للخلافة، للعمل في أراضيهم، وكان أغلب الوافدين من الأرثوذكس، الذين كانوا البداية في تكوين القومية الصربية في البوسنة.

والى جانب الصرب الأرثوذكس، كان السكان الكاثوليك يسكنون المدن مع المسلمين، ـ خلافا للصرب ـ وهم يمثلون جزءا من سكان البوسنة الأصليين، وقد اعترف السلطان «محمد الفاتح» بكنيستهم الكاثوليكية عند فتح البوسنة في ١٤٦٣م (٨٦٧هـ).

ومن عجائب الزمن، أن الصربيين الذين استقدمهم المسلمون لخدمتهم وزراعة أرضهم، هم الذين يعملون ـ الآن ـ على تهجير وقتل أبناء البوسنة الأصليين من المسلمين!![٢٣].

البوسنة والهرسك بعد الفتح العثماني

... أما تاريخ البوسنة والهرسك بعد الفتح العثماني، فهو في الواقع تاريخ الدولة العثمانية في أوروبا.... كان المسلمون من أهل البلاد هم العنصر

(٢٢) الأندلس الثانية (ص٢٤ ـ ٢٥).
(٢٣) المصدر نفسه(ص٣٣).

الحاكم، وقد استطاعوا أن يجعلوا كلمتهم مسموعة في الجزء العثماني من المجر أيضا.

وقد دخلت البوسنة منذ العام «١٤١٥م» (٨١٨ هـ)،في دائرة النفوذ العثماني، والمجري، والبندقي،.. وبعد أن فتح العثمانيون القسطنطينية، اصبح الطريق مفتوحا أمامهم للاستيلاء على قلب اوروبا. وخضعت لهم البوسنة آخر الأمر، ووقع آخر ملوكها «ستيفان توماسوفيتش» TOMASOVITČ STIVAN «فريسة لسياسة ذات الوجهين التي اتبعها، وأخيرا وقع اسيرا في قبضة العثمانيين ثم أطيح برأسه».

ولم تكن البوسنة قد اصبحت ـ بعد ـ خاضعة تمام الخضوع للعثمانيين، اذا انتزع الملك المجري «ميتاس MATHIAS» شماليها من العثمانيين ثم قاتلهم عام «١٤٦٣م و ٨٦٧ هـ» بغية الاستيلاء على «يايتسي»، واستولى عليها رغما عن الدفاع المجيد للجنود الانكشارية،.. ـ وكما مّر معنا ـ أصبح المسلمون من أهل البلاد، ذوو كلمة مسموعة، ووصلوا الى تولي الادارات المدنية والعسكرية، اذا انتخب من صفوفهم رؤساؤهم، كما وُلّي تسعة من السياسيين الذين وُلِدوا في البوسنة، أكبر المناصب العثمانية، ـ وهو منصب الصدارة العظمى ـ في المدة بين «١٥٤٤ ـ ١٦١١ م» (٩٥١ ـ ١٠٢٠ هـ)، وكان من بين هؤلاء، ثلاثة من أسرة «سوكولوفيتش» من بلدة «غوراجدا Goražda». وتولى المسلمون البوسنويون الدفاع عن الحدود الشمالية الغربية من الدولة، فقط. ومما يذكره مؤرخوا البوسنة والهرسك من المسلمين، أن «اسحاق بك» الذي عين عام «١٤١٨م» ، هو أول الولاة، وأنه مابين عامي ٨٢١ ـ ١٢٩٥هـ «١٤١٨ ـ ١٨٧٨م» حكم البلاد مائتان وأربع وستون (٢٦٤) والياً وأشهر ولاة البوسنة ـ الذي مجّده المسلمون خاصة ـ هو «غازي خسرو بك» الذي حكم من ٩١٢ ـ ٩١٨هـ ومن ٩٣٦ ـ ٩٤٩هـ «١٥٠٦ ـ ١٥١٢ م» ومن ١٥٣٠ ـ ١٥٤٢م» . ولاتزال الى الآن أعماله شاهدة على ماقدمه للبوسنة، مثل المكتبة والمسجد[٢٤] والمدرسة والخانقاه، التي أسسها

في سراجيفو، كل ذلك محل تبجيل الناس الى اليوم.

وظلت البوسنة اقليما يحكمه «بك» الى عام ٩٩١هـ «١٥٨٣ م» ، وبعد ذلك أخذ يحكمها «باشا» وكان أول من حكمها من الباشوات هو «فرهاد باشا صوكولوفيتش».

وكانت «سراجيفو» مركز الولاة ثم انتقلوا الى «بنالوقة» عندما أصبحت البوسنة كلها في يد العثمانيين، ثم انتقلوا أيضاً الى «ترافنيك» وكانت البوسنة حصنا من حصون الدولة العثمانية. وفي القرن السابع عشر، تبدل حَظ بني عثمان في الحروب، إذ قدم بجيشه الدوق «يوجين دوسافوا Eugene desa voia أوفن» عام ١١٠٨ ـ ١١٠٩هـ ١٦٩٧م «وأحرق ضواحي سراجيفو، وفقدت البوسنة شهرتها التي ذاعت بأنها حصن لايغلب. وتخلى السلطان عام ١١٣٠هـ ١٧١٨ م «عن جزء من البوسنة على المجرى الادنى لنهر «الساف» وهذا يمقتضى صلح «بساروفتز» للأمبراطور الملك «شارل الثالث»، وأعيدت هذه الناحية الى الحكم العثماني عام ١١٥٢هـ «١٧٣٩ م»[٢٥] وبقيت البوسنة تحت حكم العثمانيين بأمن وسلام خلال القرن الثامن عشر، وأخذ الضعف يدّب في أوصال الدولة العثمانية، فقدت الصرب في ١٢١٩ ـ ١٢٣٠هـ «١٨٠٤ ـ ١٨١٥ م» وكذلك فقدت مصر واليونان.

وبدأت الأمور تتحرج في البوسنة في صدر القرن التاسع عشر. ولم يقبل البوسنويون الاصلاحات الأوربية في الحكومة العثمانية، وهبّ المسلمون من الصقالبة (السلاف) لمقاومة هذه الاصلاحات بقوة السلاح بزعامة «حسين قائد كرادجيك عام ١٢٤٦هـ ١٨٣٠ م». وأراد الوزير «محمد وجيه باشا عام ١٢٥٦هـ ١٨٤٠ م» ادخال النظم الادارية الحديثة، وبدأ يستبدل قادة

---

(٢٤) انظر: دائرة المعارف الاسلامية (٤/ ٢٩٨).

(٢٥) انظر: المصدر السابق نفسه.

النواحي الوطنيين بآخرين مسلمين يعينون من قبل الحكومة باستانبول . وعدّ سُراة البوسنة هذا الأمر بمثابة ضربة جديدة موجّهة لهم. فانتفض مسلمو «سراجيفو» على هذا الوزير، ولكن جيوش السلطان أخضعتهم في «فتز VETIZ» من نواحي «ترافنيك».

العثمانيون وثورة البوسنة والهرسك:

.. ثار المسلمون في «كرايينا» وحاصروا قلعة «بهاتش» وكان «علي باشا» وزير الهرسك يشجع الثوار في السر، وسرعان ماامتدت الثورة في البوسنة كلها، ثم قضى عليها السردار «عمر باشا» آخر الامر في شتاء ١٢٦٦ ـ ١٢٦٧هـ «١٨٥٠ ـ ١٨٥١ م»، وفي ربيع «١٨٥١ م» قبض عمر باشا، على ، «علي باشا» وأخذه أسيرا، ويقال ان علي باشا قُتل في حادث، ابان طريقه الى الاسر.

أعيدت الأنظمة السياسية القديمة، ونقل مقرّ الوالي من «ترافنيك» الى سراجيفو مرة أخرى، وبذلك كُسرت شوكة الطبقة الارستقراطية. وفي الوقت الذي قام به المسلمون بالثورة في البوسنة، كان السخط قد أخذ يزداد بين المسيحيين الذين... انقضّوا في بعض النواحي على مُلاّك الأرض من المسلمين ، فاتخذ العثمانيون تدابير عديدة لاخضاعهم، ففرّ عدد كبير من نصارى البوسنة الى النمسا، وطلبوا تدخل الحكومة النمسوية في الأمر.. وأرسل الباب العالي وفدا الى البوسنة لفضّ النزاع وفي عام «١٨٥٩ م» صدرت لائحة بتاريخ ١٤ صفر ١٢٧٦ هـ (١٧ أيلول ١٨٥٩ م» عن مزارع البوسنة والهرسك (شفتلك)، نظّمت مايدفعه الفلاحون الى اصحاب الأرض وغير ذلك من الحقوق والالتزامات الخاصة بالطرفين، ولكن هذه اللائحة كانت سببا في قيام منازعات جديدة، فقام النصارى بثورة في الهرسك عام ١٢٩٢هـ «١٨٧٥ م» كانت شؤما على العثمانيين، وامتدت هذه الثورة الى الصرب الأرثوذكس في البوسنة،ولم يخمدها سوى احتلال قوات النمسا والمجر لهاتين الولايتين نتيجة لما اتفق عليه في مؤتمر برلين الذي عقد عام ١٢٩٥هـ

«١٨٧٨ م».

كان آخر ولاة البوسنة من قبل العثمانيين هو «أحمد مظهر باشا ١٨٧٨ م» وفي ٩شوال ١٣٢٦هـ «٥ تشرين الأول ١٩٠٨ م» أُعلن ضم البوسنة والهرسك للنمسا ـ المجر، ووافقت عليه الدول الأوروبية، وأقره العثمانيون آخر الأمر. وفي هذا اليوم وجّه الامبراطور «فرانسوا جوزيف الأول» رسالة بخطّه،أعلن فيها امتداد سلطانه على البوسنة والهرسك.

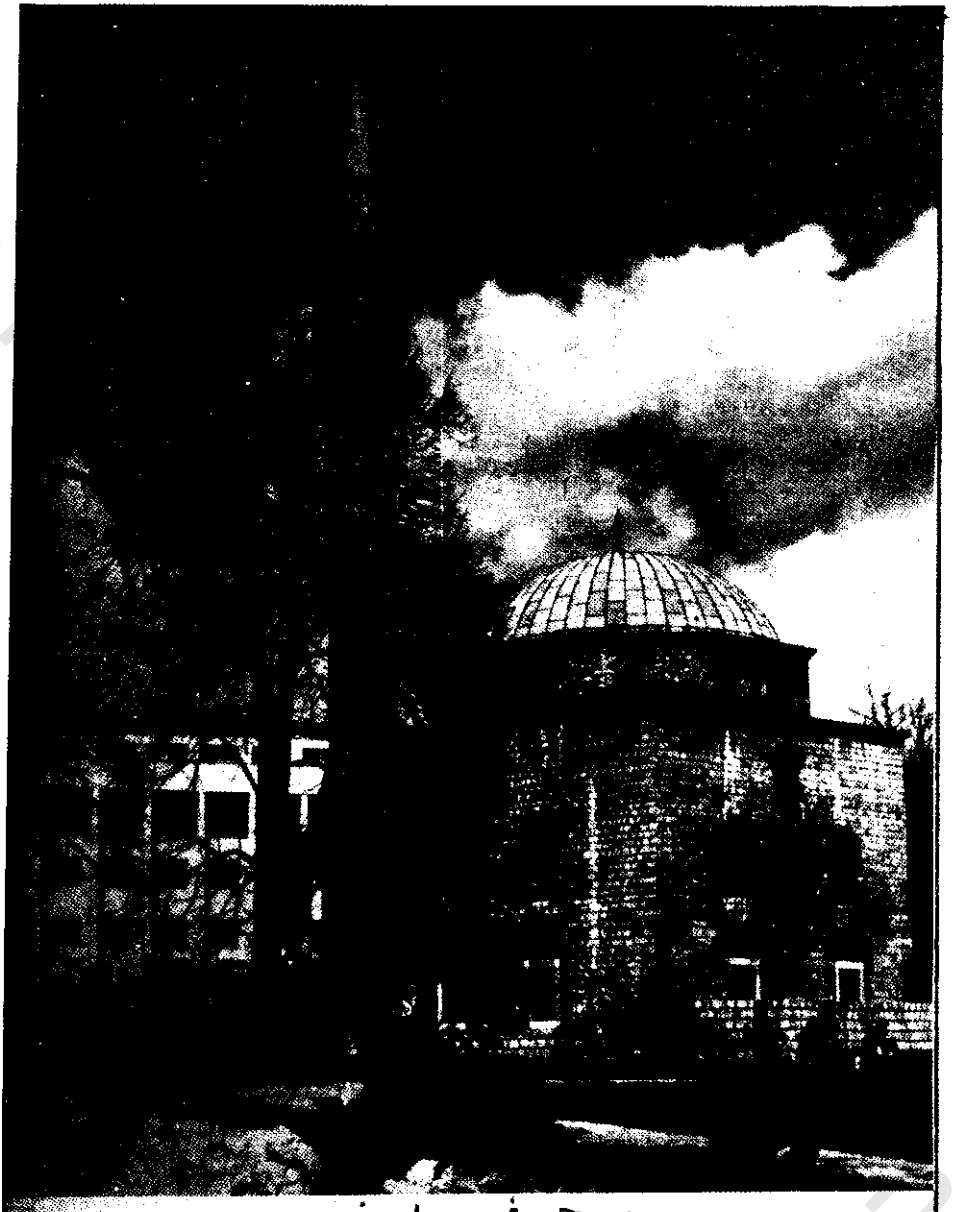

مسجد في سراجيفو

دولة البوسنة والتطورات خلال قرنين:

تقلصت أملاك الدولة العثمانية في أوروبا بسبب الحرب الدائرة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين (الحادي عشر والثاني عشر الهجريين) وصارت البوسنة دولة تقع على طرفها الغربي. وقد شهدت أكبر تغيرات جغرافية في هذه الأثناء بسبب الحرب، حتى وصلت الى مساحتها الحالية، وذلك وفق قرارات الاتفاق المبرم في مدينة «كارلو فيتش KARLOVAĆ» الكرواتية، سنة ١١١١هـ - ١٦٩٩م. وظلت هذه الحدود خلال «٣٠٠ » سنة، ولم تحدث بها تغيرات. أمّا حدودها الشرقية، فلم تكن بحاجة الى حماية، لأنها تطلّ على مناطق الخلافة العثمانية.

نظام للدفاع KAPE TANIJA:

ونظرا لأن البوسنة صارت منطقة حدود للخلافة العثمانية تجاه مملكة «هابسبورغ» النمساوية شكّل فيها نظام جديد للدفاع مشابه للنظم في النمسا ومليت[٢٦]، باسم «KAPETANIJA أي ثكنة عسكرية»

في البداية كانت هذه الثكنات محطات عسكرية حدودية، ومن ثم عمّت أرجاء البوسنة، وكان عددها (٣٩) ثُكْنه، وهذا النظام اختصّ بالبوسنة والهرسك فقط.

---

(٢٦) مليت: منطقة في ايطاليا.

كان لهذا النظام تأثير على الحياة الاجتماعية والسياسية.. ولايجنّد في مسؤولية هذه التكنات وقيادتها الا الأغنياء وأبناءهم.

أصبح قادة هذه التكنات من المعارضة لحكومة البوسنة في فترة ضعف الخلافة العثمانية واصبح هؤلاء القادة قوة كبيرة لايستهان بها،.. وكان يُختار من بينهم قادة للفتوحات الخارجية..

أعداد المسلمين وأسباب نقصها:

ازداد عدد المسلمين زيادة كبيرة بلغت ٧٥٪ من السكان في القرن السابع عشر، أي كان المسلمون يشكلون الأغلبية المطلقة في البلاد في حين كانت نسبة الكاثوليك والأرثوذكس حوالي ١٢٪ معاً

ومع تقلص الدولة العثمانية، هاجر الى البوسنة اعداد كبيرة من النمسا والمجر وكرواتيا،.. غير أن المسلمين استشهد كثير منهم في كثير من الفتوحات العثمانية..

ومن الأمثلة: ذهب حوالي (١٠,٠٠٠) من مسلمي البوسنة في حرب العثمانيين للقدس سنة ١٧٢٧م (١١٤٠هـ) ولم يعد الى البلاد منهم سوى (٥٠٠) جندي فقط.

كما ذهب حوالي (١٥,٠٠٠) للدفاع عن حدود الخلافة في جنوب روسيا سنة ١٧٣٥م (١١٤٨هـ)، لم يرجع منهم سوى(١٣٥٠) جندي بعد عامين.

والى جانب هذه الخسائر في الأرواح بسبب الحروب، تعرضت البوسنة لخسائر بشرية أخرى بسبب مرض «الطاعون» الذي استمر لعدة سنوات..

وفي سنة ١٧٣٧م (١١٥٠هـ) حدثت معركة قرب مدينة «بانيا لوكا banjaluka» هزم المسلمون فيها الجيش النمساوي هزيمة منكرة، دون الاستعانة بالجيش العثماني[٢٧].

ثـورة البـوسنـة والهرسك والاحتـلال النمساوي ـ الهنغاري :

.. ضمت الثورة لأول مرة الأرثوذكس والكاثوليك تحت إدارة الكهنة وسببت بهجرة جديدة في النمسا ـ هنغاريا للأجئين ، وضمت البوسنة والهرسك آنذاك نحو نصف مليون صربي أرثوذكسي ونحو (٤٥٠/٠٠٠ مسلم)، و(٣٠٠/٠٠٠) كاثوليكي، مع بعض الاقليات. وفي عام «١٩٠٦ م» كان السكان (١/٨٠٠/٠٠٠ نسمة)، وما يقارب بقليل نحو (٦٠٠/٠٠٠ مسلم) ومايقارب (٨٠٠/٠٠٠) كاثوليكي.

وعندما دخل النمساويون البوسنة والهرسك، في عام ١٢٩٥هـ «١٨٧٨ م» اصطدموا بمقاومة عنيفة.. من المسلمين والمسيحين وكان الجيش النمساوي تحت امرة كرواتي، وقد أرادت الحكومة النمساوية أن تعطي الجيش قائدا سلافياً هو الجنرال «فيليبوفتش»، وقبل ان يدخل فيليبوفيتش الى البوسنة والهرسك، القى نداءً هاماً.... يدل على العلاقات التي ستقوم بين دولة الاحتلال وشعب مقهور، ومما جاء في ا لنداء مايلي :

«ياسكان البوسنة والهرسك».

«لقد اجتاز جيش امبراطور النمسا ـ هنغاريا ، حدود بلدكم. ولم يأت عدوا ليفتح البلاد بالقوة. لقد اتى صديقا ليضع حدّا للفوضى التي لاتعكر ـ منذ سنوات ـ البوسنة والهرسك فحسب، وانما أيضا مناطق حدود النمسا ـ هنغاريا.. وقرر مجلس الأمم بالإجماع ، أن تعيد النمسا ـ هنغاريا اليكم، السلام والازدهار اللذين فقدتموهما منذ زمن طويل . وان صاحب الجلالة السلطان، الذي تهمّه سعادتكم، شعر بأنه ملزم بأن يعهد بذلك الى صديقه

---

(٢٧) انظر: الأندلس الثانية (ص٢٨ ـ٣٢).

القوي : الامبراطور ـ الملك.

.. ياسكان البوسنة والهرسك ، ضعوا انفسكم بثقة تحت الحماية المجيدة لعلَم النمسا ـ هنغاريا . استقبلوا جنودنا كأصدقاء ، واخضعوا للسلطات ، وعودوا لشؤونكم، وستحمي ثمار عملكم».

وبالرغم من هذا الاعلان، لاقت الحكومة النمساوية بعض الصعوبات في احتلال البلاد واضطر الجنرال فيليبو فتش الى (القتال) وفعل ذلك مرارا وبخاصة في «بيهاتش» وسراجيفو. ولم يكن الجيش العثماني ضده لأن السلطان قبل الاحتلال «الموقّت» للبوسنة والهرسك التي ظلت عثمانية نظرياً، أما السكان أنفسهم ، وبخاصة الصرب الأرثوذكس، والمسلمون فقد رفضوا الاحتلال النمساوي.

واقتصر السلطان على ارسال رسولين يحملان الى فيليبوفتش احتجاجا، رفض قبوله، ولكن شعب البوسنة والهرسك نفسه نظّم مقاومة حقيقية ضد المجتاحين. واعتبر زعماء المقاومة متمردين واشقياء وزعماء عصابة، وأصبحوا... اسطورة قومية للبوسنة...

والحقيقة أنه وجدت عاطفة قومية في البوسنة، وتأكدت بخاصة ، انطلاقا من الاحتلال النمساوي... وفوق ذلك يمكن القول بأن العاطفة القومية السلافية، قلّما كانت معادية للعثمانيين ولكنها كانت معادية للنمساويين.

احتلال سراجيفو

ان الاحتلال النمساوي الذي كانت حجته بالضبط، ثورة الهرسك ضد العثمانيين، لقد اثار بالحال مقاومة شعبية ذات صبغة وطنية، ودار الكفاح العنيف امام سراجيفو بعد لقاءات دموية في فجاج البوسنة الشمالية، وتوصل جيش الاحتلال الى سراجيفو في ٢٧ رجب ١٢٩٣هـ «١٨ آب ١٨٧٦ م» وكانت هذه الحرب، حربا وطنية، شارك الشعب في النضال... وفي فجر «١٩ آب» هجمت أربعة ألوية نمساوية، تدعمها بطارية مدفعية، على ربوة

«غورتيزا»، وفي الساعة التاسعة وصلت كتيبة الى البيوت الأولى، ولكنها لم تستطع الذهاب الى أبعد من ذلك. وأخيرا فتحت المدفعية طريقا، وسقطت القلعة ظهرا، وكُسرت المقاومة المنظّمة لكن حرب الشوارع ظلت حتى المساء... حتى أن النساء قاتلن في هذه الحرب..

واطلق النمساويون على هذه المدينة الخشبية قنابل محرقة، وفي الساعة الخامسة مساء دخل الجنرال فيليبوفتش قصر الباشا، بينما كانت (١٠١) طلقة مدفع تحيي من القلعة مع العلم الاسود والاصفر ـ الذي اقتلعته ـ بعد أربعين عاما تقريبا ـ ، عواصف الحرب العالمية الأولى.

.. كان شعب البوسنة والهرسك يشعر شيئا فشيئا بوضوح ، استغلال الاجانب.. وبصورة عامة عند الارثوذكس الصرب. وفضلت الحكومة النمساوية الكرواتيين الكاثوليك، حتى أن عددهم ازداد بالهجرة بشكل واضح بخاصة في المدن، وسلّمت البوسنة لضغط الكنيسة الكاثوليكية..

... وعملت الحكومة على عدم الاعتراف بالبوشناق والصرب، وأنكرت أيضا وجود لغة صربية في البوسنة. وكان الصرب الأرثوذكس يُوصفون بأنهم «يونانيون شرقيون» أما الآخرون فكانوا كاثوليك ومسلمين. وكان يُعتقد بوجود لغة بوسنوية خاصة... وحذف من الجرائد اسم صربيا.

... هذه التدابير التي تهدف الى تنمية قومية محلية، موضعية، اسهمت في تنمية الوجدان القومي في الجماهير الريفية... حتى أن النمساويين عزّزوا ـ دون أن يريدوا ـ العاطفة القومية. وفي ١٣٢٦هـ «١٩٠٨م» ، أي في الوقت الذي ضمّت النمسا، البوسنة والهرسك، كان الشعب كله معاديا للنمساويين، حتى كرواتيي البوسنة الذين شعروا بأنهم منفصلون عن كرواتيا. وفي ذلك الحين شعرت البوسنة والهرسك شيئا فشيئا بثقل الغلّ النمساوي.

.. وفي ١٣٢٧هـ «١٩٠٩م» منحت البوسنة والهرسك دستورا يؤكد في البلاد سلطة طبقة بورجوازية وطبقة نبيلة تملك الأرض ..

وجرت انتخابات سجلت تقدما عظيما، لا في رفع المستوى الثقافي فحسب، وانما في ردود الفعل التي نمت ضد الحكومة النمساوية التي كان هدفها جعل البوسنة والهرسك، اقليما مستقلا ذاتيا في الأمبراطورية، وقطع امله بالانضمام الى صربيا المجاورة[٢٨].

وفي المعارضة وجدت البورجوازية الوطنية البوسنوية، المستعدة للكثير من الوفاق والتسوية مع الفرق العمالية والشباب والمفكرين. وكان العمال الذين يشتغلون جنبا الى جنب مع العمال الوافدين من النمسا، ينتسبون الى الفرق الاجتماعية الديمقراطية في فيينا أو بودابست.

ـ ولكن العمال كانوا متأثرين كثيرا بالعمال الأجانب... ولا يلاحظ التضامن العمالي ـ عموما ـ من أجل عمال البلاد، الذين كانت اجورهم أضعف كثيرا من أجور عمال الخارج.. الذين يمثلون ـ في الغالب ـ منافسين يحتلون أفضل الأمكنة...

.. أما الشبان الذين درسوا في الجامعات النمساوية... كانوا ـ احيانا ـ مفكرين عاطلين عن العمل، فقد ألفّوا قيادات ثورية ساعدتها صربيا.. وأصبحت البوسنة والهرسك تجمعّ (المعارضين) الذين يشتغلون لحساب القوميات السلافية، وبدأت محاولات الاغتيال؛ وحتى بداية القرن العشرين، عرفت البوسنة والهرسك، القليل من الاضطرابات، ففي ١٣٢٨هـ «١٩١٠ م» حاول صربي قتل الجنرال «فارسانين» الذي يمثل الامبراطور.. وكانت هذه المحاولة، هي الأولى لسلسلة محاولات اغتيال، كان آخرها: اغتيال ولي عهد النمسا في سراجيفو الذي تمّ في رجب ١٣٣٢هـ «١٥ حزيران ١٩١٤ م» والذي أثار الحرب الكبرى. (الحرب العالمية الأولى).

وهكذا نرى أن في البوسنة والهرسك. وعيا قوميا حديثا نما في آخر

---

(٢٨) انظر: تاريخ الحركات القومية في أوروبا (٤/ ٣١٩ ـ ٣٢٢).

القرن التاسع عشر، ضد الاحتلال الأجنبي. وكانت البلاد... خاضعة لاستغلال استعماري... وكانت مركز مشاريع قومية سلافية في البلقان، لأنها كانت بلدا متطورا قليلا ومعقدًا في بُناه الدينية والعنصرية[٢٩].

سراجيفو عاصمة جمهورية البوسنه والهرسك

(٢٩) انظر: تاريخ الحركات القومية في أوروبا (٤/ ٣٣٢ ـ ٣٣٤).

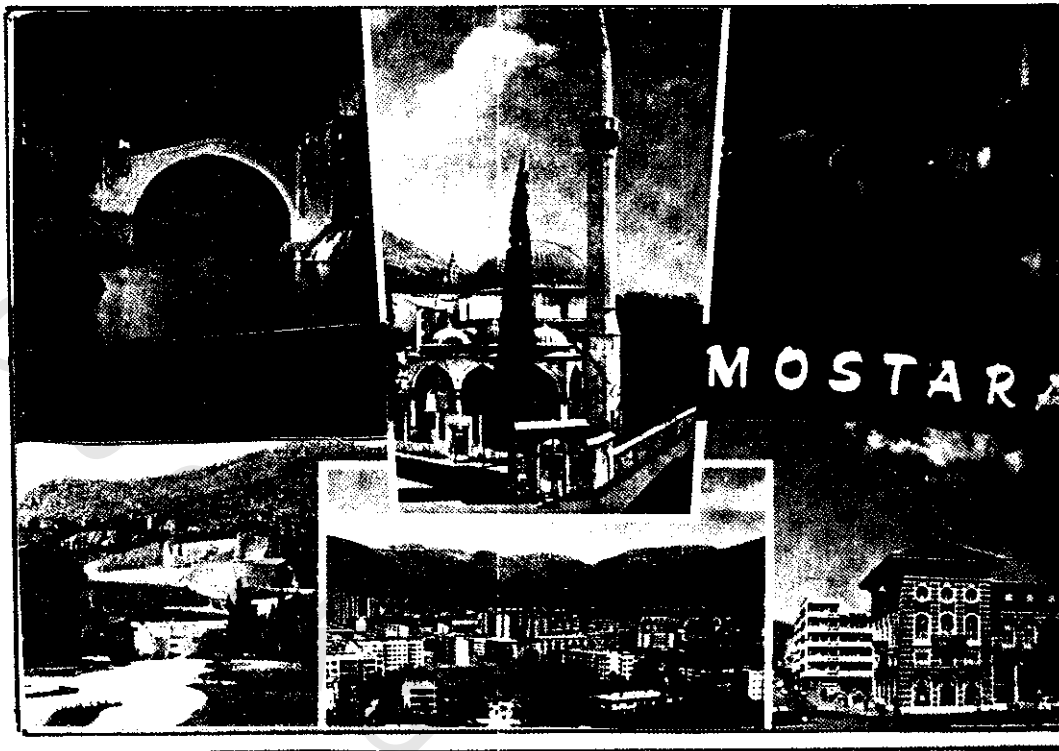
MOSTAR

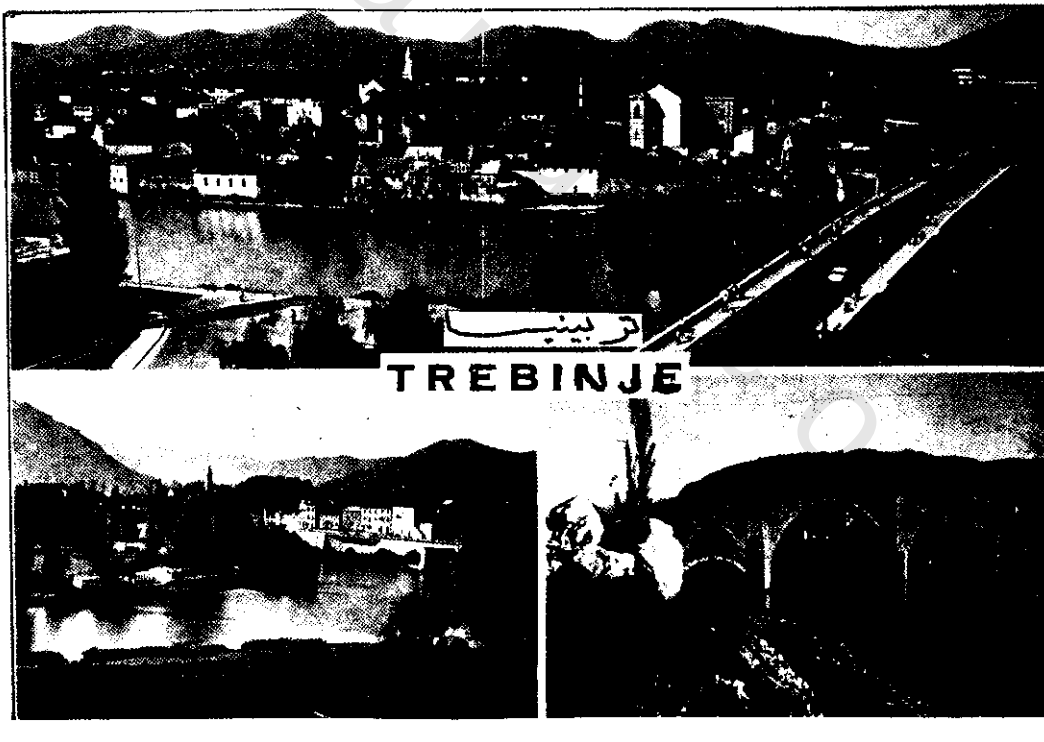
تربينيا
TREBINJE

البوسنة والهرسك سياسياً وادارياً:

التشريع:

أُعلن أثناء تقدم جيوش النمسا ـ المجر في البوسنة والهرسك : ان جميع القوانين القديمة المتبعة فيها، تظل نافذة مالم تنسخها قوانين أخرى جديدة، وهذه القوانين واللوائح الخاصة بالبوسنة والهرسك أثناء الحكم السابق، تعالج نواحي التشريع المختلفة، وبخاصة ـ الملكية العقارية ـ ... وكانت السلطة التشريعية في البوسنة والهرسك الى اعلان الدستور الجديد ١٣٢٨هـ «١٩١٠ م» في يد الامبراطور، ودعي المجلس النيابي للمعاونة في التشريع طبقا للدستور الجديد . ويتكون المجلس النيابي : من أعضاء معينين بحكم وظائفهم،ومن أعضاء منتخبين. فالاعضاء الأولون هم : رئيس العلماء ومدير الأوقاف، والمعارف، ومفتيا سراجيفو وموستار، وأقدم مفتٍ عهداً بمنصب الافتاء، وأساقفة الصرب الأرثوذكس الأربعة، ونائب رئيس المجلس الأعلى في الادارة والتعليم بالكنيسة الصربية الأرثوذكسية و (كبير أساقفة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية)، واثنان من أساقفة الرومان الكاثوليك، وغيرهم من رجال الدين والطوائف الأخرى.

وعند بحث المسائل في البرلمان، يراعى ضمان تطبيق الشريعة الاسلامية على المسلمين فيما يختص بالزواج والميراث، وشؤون الاسرة... ويبحث البرلمان أيضا في أمور أخرى، ولا يتدخل البرلمان في التنظيم الداخلي للطوائف المختلفة التي يعترف بها القانون،ولا في قيامهم بالشعائر الدينية.

... وقد احتفل لأول مرة بافتتاح البرلمان في سراجيفو، في الخامس من جمادى الآخرة ١٣٢٨هـ والخامس عشر من (حزيران) عام «١٩١٠ م». وقد قام هذا البرلمان الجديد، بكثير من الاصلاحات في جميع مناحي الحياة العامة[٣٠].

الادارة والصحة:

البوسنة والهرسك يكوّنان ولاية واحدة، وقد نسجت على منوال الدولة العثمانية.. وادخال بعض التعديلات.. فقسمت البوسنة والهرسك الى ست نواح : بنالوقة ، بهاتش، موستار سراجيفو، ترفنك وطوزلا.

.. أما فيما يختص بالصحة العامة... كان في سراجيفو عام «١٩٠٩ م»، مستشفى اقليمي للجمهور، وتسعة مستشفيات بالمراكز، وأربعة عشر مستشفى محليا، يضاف الى ذلك، مستشفى خاص، وخمس وخمسون صيدلية، وقد اتخذت التدابير في أربعة وثلاثين مركزاًللقضاء على.. أمراض مختلفة...

كما اتخذت ـ ايضا ـ التدابير المناسبة لمكافحة الأمراض التي يتعرض لها الحجاّج في ذهابهم الى «مكة» (المكرّمة)، وقد أدى ست وخمسون من الأهالي فريضة الحج عام ١٣٢٧ ـ ١٣٢٨هـ «١٩٠٩ ـ ١٩١٠ م»[٣١].

الدّين:

لم يكن للدين الاسلامي ـ بصفته ملّة من الملل ـ نظام خاص في البوسنة والهرسك قبل الغزو النمساوي، ومنذ عام ١٢٩٨هـ «١٨٨١ م» أبدى المسلمون رغبتهم في أن يكون لهم زعيم خاص بهم، هو رئيس العلماء،

---

(٣٠) انظر: دائرة المعارف الاسلامية(٤/ ٢٩٢ ـ ٣١٢).
(٣١) انظر: المصدر السابق

ليشرف على شؤونهم الدينية، يعاونه مجلس من الفقهاء في الشريعة الاسلامية، وعام «١٨٨٢ م» تأسس هذا المجلس حسب رغبتهم، وضمّ أربعة أعضاء، ورئيس، وفي عام «١٨٨٣ م» عيّن مجلس للاوقاف والتثبت منها، والاشراف على مصروفاتها وادارتها، وفي عام «١٩٠٩ م» منح المسلمون حقّ مزاولة شؤون دينهم بأنفسهم، وهو الحق الذي سبقهم اليه الصرب الأرثوذكس، وأهم مااشتمل عليه القانون الذي صدر في هذا الشأن، هو واجبات الهيئة التنفيذية بتأسيس مساجد وعمائر المسلمين الأخرى، سواء كانت دينية أو تعليمية، أو خيرية، والمحافظة عليها واعداد العدد اللازم من المدرسين، ورجال الدين، ودفع مرتباتهم، وتعليم أولاد المسلمين، والعمل على توطيد معرفتهم بالدين الاسلامي، بالقدر المستطاع.

وللحكومة الاقليمية أن تطلب من مجلس العلماء والمجلس الاقليمي وهيئته، تفصيلات عن أعمالها وعن الهيئة التنفيذية لوقف المعارف (الأوقاف)، وعلى هذه المجالس أن توافيها بما تطلب. ولكل أقليم مجلس (وقف معارف) هو رأس الهيئات المستقلة ذاتيا التي تشرف على جميع ممتلكات الأوقاف في البوسنة والهرسك، ومقر المجلس، في سراجيفو، وأعضاؤه هم : رئيس العلماء ومفتو : بنالوقة. وبهاتش وموستاروترا فنك وطوزلا وسراجيفو، وناظرا الأوقاف وأربعة وعشرون عضوا تنتخبهم مجالس النواحي، ورئيس المجلس الوطني، هو : رئيس العلماء. وكل مايفعله المجلس من تشييد مساجد ومدارس وغيرها يكون طبقا لأحكام الشريعة الاسلامية.

مهمة مجلس العلماء: ومقره سراجيفو ـ الاشراف العام، على جميع شؤون المسلمين الدينية في البوسنة والهرسك، كما يراقب المجلس، تنفيذ البرامج الدراسية في مختلف المدارس الاسلامية، وفي المدارس العامة والمعاهد كافة، وهناك مفتٍ بكل مركز من مراكز البوسنة والهرسك، ومجلس العلماء هو الذي يضع برنامج المكاتب، ويعيّن المواد التي تدرّس فيها. والتعليم الزامي لكل أولاد المسلمين، قبل الثامنة ولبناتهم قبل السابعة أما المدارس

فهي أرقى من المكاتب في تعليم الدين، ومهمتها تخريج عدد كاف من المعلمين لسد حاجات البلاد الدينية[٣٢].

التعليم:

لم يكن المرسوم العثماني الصادر عام «١٨٦٩م» (١٢٨٥ هـ) والذي لم يوضع موضع التنفيذ، ملائما لأحوال البوسنة والهرسك المتغيرة بعد الفتح، ولذلك أدخلت الحكومة العثمانية على نظام التعليم اصلاحات واسعة النطاق.

وكان عدد المدارس الابتدائية في البوسنة والهرسك عام «١٩٠٩ م»: (أربعمائة وأربع وثلاثون) مدرسة، منها ثلاثمائة وتسع وثمانون مدرسة غير دينية، وأحدى عشرة مدرسة خاصة، وبلغ عدد طلاب هذه المدارس جميعها (٣٨٩٥٠) من الطلبة، وقد أنشئت مدارس ابتدائية خاصة (رشديات) لسّد حاجات المسلمين الدينية والاجتماعية، وذلك في عواصم النواحي. وبرنامجها كبرنامج المدارس الابتدائية، فيما عدا اللغة ا لعربية والتركية اللتين هما مادتان اضافيتان، واتجهت العناية الى تعليم البنات المسلمات - قدر الامكان - وأهم المدارس الخاصة بذلك هي مدرسة البنات المسلمات بسراجيفو، وتعينّها الحكومة، وبها أربعة فصول ابتدائية ودراسة ثانوية مدتها ثلاث سنوات، وغايتها إعداد سيدات مسلمات للتدريس في الفصول التحضيرية في المدارس الابتدائية. وفي عام «١٩٠٩ م» كان في البوسنة والهرسك - أيضا - تسع مدارس تجارية ومدرسة حربية داخلية للصبيان، ومهمتها اعداد صبيان البلاد لدخول الكليات الحربية وثلاث مدارس غير دينية، لتعليم البنات، وسبع أخرى - دينية - لتثقيفهن، ومدرستان عاليتان، وجامعة فرنسية، ومدرستان ثانويتان.

---

(٣٢) انظر: دائرة المعارف الاسلامية (٤/ ٢٩٣ ومابعدها)

وقد اتخذت التدابير في شأن التعليم الديني بجميع المعاهد هذه فعين فيها مدرسون من جميع الطوائف. وكان في إمكان الطلبة المسلمين - في المدارس العليا - ان يتعلموا العربية بدلا من اليونانية، ومعاهد التعليم التي تعيّنها الجماعة الاسلامية هي: المكاتب والمدارس ودار المعلّمين في سراجيفو. وأطفال المسلمين يدخلون المكاتب قبل أن يلتحقوا بالمدارس الابتدائية - غير الدينية - ويتعلمون فيها دروسهم الدينية الأولى.

وقد نظمت المدارس في البوسنة والهرسك ، على نسق مثيلاتها في الدولة العثمانية[٣٢].

.... أشهر هذه المدارس في البوسنة والهرسك مدرستا قرشونلي، وخانقاه في سراجيفو أما دار المعلمين التي أُسسّت عام ١٣١١هـ «١٨٩٣ م» بسراجيفو، فهي نوع من الدارسة التكميلية لهذه المدارس، وتعدّ كلية الشريعة بسراجيفو (متممة للدراسات الاسلامية)، وقد أنشئت هذه الكلية عام ١٣٠٢هـ «١٨٨٥ م»، وغايتها الأولى تفقيه المرشحين الصالحين لمناصب القضاء الشرعي، وتبلغ الدراسة فيها، خمس سنوات، ويشمل برنامجها مواد: اللغة العربية، المنطق، علم المعاني، البيان، العقائد، الفقه وأصوله - وأيضا - الفرائض، أصول المحاكمة، الفقه الأوربي، الحساب، الجغرافيا، التاريخ، الخط العربي، ولغة البلاد. وكانت هيئة التدريس مكّونة من تسعة أساتذة.

ويمكننا أن نضيف الى معاهد العلم في البلاد، المتحف الوطني بسراجيفو الذي أسس عام ١٣٠٢هـ «١٨٨٥ م» وضمّته الحكومة اليها عام ١٣٠٥ - ١٣٠٦هـ «١٨٨٨ م».

وظهرت عام ١٣٢٧هـ «١٩٠٩ م»، صحف عديدة.. ويمكننا أن نصنفها وفقا لنزعاتها الدينية والسياسية و(القومية) كما يلي : ست صحف كرواتية،

---

(٣٢) انظر: دائرة المعارف الاسلامية (٤/ ٢٩٢ ومابعدها)

وست صربية ، وست مستقلة، واربع اسلامية، وأربع رومية كاثوليكية...

القضاء :

كانت عدة بلاد قد حصلت من الحكومة العثمانية على محاكمة رعاياها بمعرفة قناصلها، وقد ألغي هذا النظام بموافقة هذه البلاد فيما بين عامي ١٢٩٥ ـ ١٢٩٩هـ «١٨٧٨ ـ ١٨٨١ م»، وكان في سراجيفو محكمة عليا، وهي أكبر محاكم البلاد، وهناك محاكم في حاضرة كل ناحية، ومحاكم في عاصمة كل مركز. وقد نُظّمت المحاكم الشرعية التي ضُمّت الى المحاكم ـ السابق ذكرها ـ على أسس خاصة.

فالمحكمة الشرعية في المركز، مكونة من: القاضي الشرعي، وهو خريج كلية الشريعة في سراجيفو، ومساعدوه، وعدد من الموظفين الدينيين، تابعين له.

والمحكمة الشرعية العليا تتكون من رئيس المحكمة، وقاضيين، ثم من اثنين من كبار القضاة في الشرع، وهي تقضي بصفة خاصة في:

آ ـ المسائل الخاصة بأحكام الزواج.

ب ـ القضايا التي تتعلق بالأبوة والبنوّة، وهي تحكم في قضايا الميراث، وقد حكمت المحاكم الشرعية في (٢٦٢٩) قضيّة عام ١٣٢٧هـ «١٩٠٩ م»، و (١٧٤٦٧) مسألة من مسائل الميراث، وسجلت (٧٣١٢) عقد زواج، كما سمحت بالطلاق في (٨١٩) حالة[٣٤].

---

(٣٤) انظر : دائرة المعارف الاسلامية (٤/ ٢٩٢ ـ ٣١٨)

أعلام من البوسنة

... مع أن التواصل بين مسلمي البلقان ومسلمي البلاد العربية كان قليلا. برز عدد من شعراء وعلماء وأدباء المسلمين - وخاصة - من يوغسلافيا (السابقة) برزوا واشتهروا، فكتبوا والّفوا باللغة العربية - لغة القرآن - التي أحبوها استجابة لحب كتاب الله المُنزل، وعنايتهم بهذه اللغة ليست تحيّزا لها، وإنما هي الرابطة والصلة الرائعة بين المسلمين وقرآنهم ودينهم، لذلك ليس من الغريب ان ينجح المسلم - غير العربي - بايصال أفكاره شعرا أو نثرا بلغة قرآنه وبأسلوب رائع متمكّن... (وهناك تراجم لعدد من أدباء وشعراء البوسنة - خاصة - ومناطق أخرى في البلقان أنعم الله عليها بالاسلام وفيما يلي ترجمة لبعضهم).

شعبان بن ولي الدين البوسنوي النوسيلي[٣٥]:

قال عنه المحبّي أنه كان فاضلا كاملا، قدم الى القسطنطينية (استانبول) سنة «١٠٢٥ هـ - ١٦١٦ م»، وكان فقيرا، غير أنه اشتغل في وظائف الدولة متنقلا من مرتبة الى مرتبة حتى أنعم عليه السلطان «مراد» بقضاء الشام، لقد كان «شعبان» ذا عفّة وأخلاق كريمة، لم تعهد الشام بقاضٍ مثله.. مدحه شعراء عصره، تنقّل القاضي «شعبان» في الولايات العثمانية، فنُقل الى

---

(٣٥) النوسيلي: نسبة الى بلدة بالقرب من البوسنة

قضاء مصر، توجّه بعدها الى (استانبول)، وصار قاضياً بـ «أدرنة» وتنقل في المراتب حتى صار صدرا أعظماً، بـ «روم ايلي»، وبعد ذلك اقام في داره الى ان توفي بأواخر ذي القعدة «١٠٧٧ هـ ايار ١٦٦٨ م»، عن ثمان وسبعين سنة.

أما القصائد التي مُدح بها فكانت قصيدة لأحمد بن شاهين يعتذر له فيها ـ ايضا ـ عن دعوته فقال :

مـولاي يـامـن لـه في كل جـارحـةٍ
منـي لسـان يـؤدي شكْـر مـاوجبـا
ومـن إذا مـاذُكـرنـا حُسن عشرتـه
وطيبَ أخـلاقـه طِـرنـا بـه طَـربـا
ومـن لـه في فـؤادي مـن محبتـه
منازل بلغت في أفقها الشُهبا

فضل الله البوسنوي الحنفي

هو «فضل الله بن عيسى» نزيل دمشق، الامام،... الاستاذ الشهير، كان أحد اعيان العلماء معرفة واتقانا وحفظا وضبطا للفقه، وتفهما في علله، يميّز بين الصحيح والضعيف من الأقوال، كما كان عارفا بالحديث والفنون حق المعرفة، وكان من الصالحين، حسن العقيدة. قرأ في بلدته «بوسنة» وحصّل كثيرا، تولّى منصب الافتاء لمدينة «بلغراد» ذهب الى الحج عن طريق دمشق سنة «١٠٢٦ هـ» ١٨١١ م ولما رجع أقام بدمشق واقتنى داراً بمنطقة باب الجابية محلة «الشيخ عامود».

درّس «فضل الله» بالمدرسة الأمينية وبغيرها، ثم كان مفتيا بدمشق وأفتى بها لمدة طويلة، وكانت فتاواه مرغوبة.

كان فضل الله موقرا ومحترما عند كبار الوزراء والأعيان، كما كان من صدور العلماء. ولد فضل الله بـ «بوسنة سراي» (سراجيفو) في «صفر ٩٦٩ هـ - تشرين الأول ١٥٦١ م» وتوفي في «١٢ صفر ١٠٣٩ هـ - تشرين أول ١٦٢٩ م»، ودفن بمقبرة الباب الصغير بالقرب من ضريح «بلال الحبشي»(ر) (مؤذّن الرسول)(ص)[٣٦].

علي دده، البوسنوي

على دده المعروف بشيخ التربة، ولد ببلدة «موستار» بالهرسك من بلاد بوسنة قرأ العلوم عند «الشيخ مصلح الدين بن نور الدين الخلوتي»، ولما فتح «السلطان سليمان» قلعة «سكتوار» من بلاد «أنكروس» مات ودفن فيها عند القلعة، وجعلوا على (ضريحه) قبة وقفوا عليها ضياعاً، وصار «علي دده» فيها شيخا وسكن فيها - أيضا - وكان شيخا جليلا، توفي سنة «١٠٠٧ هـ - ١٥٩٨ م»[٣٧].

محمد بغلامك البوسنوي

هو قاضي القضاة بحلب والعالِم المشهور، كان عالما مثقفا، له عدة حواشي على مصنفات عدّة، وعلى شروح مختلفة، توفي سنة «١٠٤٥ هـ - ١٦٣٥ م».

---

(٣٦) أنظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر/ محمد المحبي- دار صادر بيروت، بدون تاريخ (٣/ ٢٢٦-٢٣٠-٢٧٩-٢٠٠-٣٠٢-٢١٣ على التوالي ثم ٢/ ١٧٥-١٧٦).

(٣٧) انظر: المصدر السابق

سليمان البوسنوي

نزيل (الاستانة) المشهور «مذاقي» ، أحد البلغاء والشعراء، كان نديم الوزير الأعظم «أحمد باشا الفاضل»، كان شديد التولع بالكيمياء، اخترع دواء من أفضل خواصه، دفع السموم، توفي باستنبول سنة «١٠٧٨ هـ - ١٦٧٦ م[٣٨]».

زكريا البوسنوي

هو زكريا بن حسين، البوسنوي الأصل، الدمشقي المولد، نشأ في كنف أبيه على صون ونزاهة، اشتغل بطلب العلم، وكان جميل الطلعة، لم يكن في عصره من يقاربه في الحُسن، وذكر المحبي أبياتاً كثيرة قيلت في جمال زكريا، ومن الوظائف التي شغلها في دمشق، أنه تولى النيابة بمحاكمها، كما كان له بقعة تدريس بجامع بني أمية، كما درّس بالمدرسة الظاهرية الكبرى، كان يحسن عدة لغات، كالفارسية، والتركية، والبوسنوية، بالاضافة الى اللغة العربية، كما كانت كتاباته بالخط الجميل وكما يقول «المحبّي»: «أنه من تُحف الدهر». كانت ولادته سنة «١٠٢٥ هـ تقريبا - ١٦٦٤ أو ١٦٦٥ م ودفن بمقبرة الفراديس بدمشق[٣٩].

عبد الله الرومي البوسنوي

العارف بالله وأحد علماء الروم وعظمائهم الأمجاد، كان عالما عارفا بالدقائق متبحّرا في العلوم النقلية والعقلية.

ولد بالروم (البوسنة) وبها نشأ، وأخذ عن أكابر العارفين، برع في جميع العلوم حتى صار منقطع النظير - كما يقول المحبي في ترجمته - زار النبي -

(٣٨) انظر: المصدر السابق

(٣٩) انظر: خلاصة الأثر (٣/ ٨٦ و٤/ ٢٨٨) على التوالي

صلى الله عليه وسلم سنة «١٠٤٦هـ» ١٦٣٦م كانت له مؤلفات كثيرة ، أهمها: شرح على النصوص، وعلى التائية للشيخ الأكبر «محي الدين بن عربي» كما شرح غيرها، كانت وفاته عقب رجوعه من الحج سنة «١٠٥٤ هـ - ١٦٤٤ م»، بمدينة «قونية» - التركية حاليا - ودفن بالقرب من قبة العارف بالله «صدر الين القونوي» وبنيت عليه قبة وكتب على قبره : هذا قبر غريب الله في أرضه، واسمه «عبد الله».

محمد باشا البوسنوي الوزير

هو أحد الوزراء العظام في عهد «السلطان أحمد» كان في أول أمره من الحرم الخاص للسلطان، ثم ترقّى حتى ولّي الحكومة في ولاية «أناطولي» ثم أُنعم عليه برتبة الوزارة وعيّن لمحافظة «حد بلاد الاسلام بناحية المجر» ثم أصبح صدرا أعظما، كما عيّن قائدا لمحاربة قلعة «استرغون». ثم فتحها، مرض ومات في «١٥ محرم ١٠١٥ هـ - ٢٤ أيار ١٦٠٦ م».[٤٠].

ولاة البوسنة

يبين لنا التاريخ أن الادارة العثمانية خلال سنوات حكمها للبلقان - وبخاصة - البوسنة والهرسك، أنها لم تستأثر بالحكم منفردة بل قلدت عددا من مواطني البوسنة والهرسك، وظائف هامة، منهم من حكم برتبة «بك» ومنهم من حكم برتبة «باشا» وأحيانا، تقلد بعضهم هذا المنصب أكثر من مرة.

ومنذ عام «٨٦٨ هـ» الى عام «١٢١٩ هـ»، تقلب في حكم البوسنة عدد يقارب عدة مئات، فالذين تمتّعوا برتبة «بك» حوالي (٣١) واحد وثلاثون شخصا، أما الذين حكموا برتبة «باشا» فبلغ عددهم، المئات، ومنهم من وصل الى رتبة الصدارة العظمى مثل: «صوقللّي محمد، أصبح صدراً أعظماً

---

(٤٠) انظر:المصدر السابق

سنة ٩٧٢ هـ ١٥٦٤/ ٦٥م»، و «فرهاد سنة ٩٩٩ هـ ١٥٩٢م»، فبلغ من تولى رتبة عالية: ـ بك أو باشا أو صدرا أعظما أكثر من مائتين وأربعين (٢٤٠) شخصا، وذلك بين سنة «٨٦٨ و ١٢٩٦ هـ» وبين «١٢٨٦ و ١٢٩٥ هـ» ، تولى سبعة رجال، كانت لهم قيادة الجند بالبوسنة خلال عشر سنوات، وهم: صفوت، ابراهيم درويش، محمد رشيد، مصطفى عاصم، محمد عفيف، أحمد حمدي، رؤوف، ومنهم من اعتُمد مترجماً على معرفته بكتاب «سجلّ» عثماني ياخود، تذكرة مشاهير عثمانية لـ «محمد ثرياّ بكي».

أما الذين حكموا في البوسنة[٤١]، من أهالي البوسنة والهرسك، يبلغ عددهم (٢٣) ثلاثة وعشرون واليا كما وردت أسماؤهم فيما يلي ، والمنطقة التي ينتمون اليها:

دوغة لي مالقوج «دوغة الهرسك» برتبة «بك» عام «٩٦٠ هـ» دوغة لي أحمد باشا «الهرسك» عام «١٠٠٨ هـ»، هرسكلي مراد «١٠٤١ هـ»أرناؤود، (أرناؤوط) «مصطفى باشا» «١٠٤٢ هـ»، موستارلي صالح «١٠٥٤ هـ» ، بوسنه لي شاهين «١٠٤٩ هـ» بوسنه لي ورْوَر «١٠٥٤ هـ»، غبله لي ابراهيم (غبلة الهرسك) ١٠٥٥ هـ»، مغلائلي فاضل (مغلاي البوسنة) «١٠٦١ هـ» مغلائلي محمود «١٠٨٢ هـ»، أرناؤود إبراهيم «١٠٨٩ هـ»، هرسكلي عثمان «١٠٩٦ هـ»، بوسنة لي غازي محمد «١١٠٣ هـ»، بوسنة لي صاري أحمد «١١٠٩ هـ»، بوسنه لي سيف الله «١١١٤ هـ»، بنيا لوقالي قبودان مصطفى «١١٢٠ هـ»، أرناؤود علي «١١٢٥ هـ»، بوسنة لي صاري مصطفى «١١٢٧ هـ»، شابا جي أحمد (مدينة شاباج في بلاد الصرب) «١١٢٩ هـ»، ملوفان علي (ملوفان بالبوسنة) «١١٢٧ هـ» بوسنة لي سليمان «١٢٣١

---

(٤١) انظر: معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي / رامباور/ ت: د. تركي محمد حسن وحسن أحمد محمود، دار الرائد العربي بيروت ١٩٨٠ (ص٢٤٠ ـ ٢٦٧).

هـ»، عثمان بوسنه لي مزهّر «١٢٧٥هـ»، ومن الذين وصلوا الى الصدارة العظمى : هرسك زادة أحمد «أربع مرات» من «٩٠٢ الى ٩١٨ هـ» زمن السلطان بايزيد الثاني.

مدينة " زنيتسا " مركز التعدين الحديدي في يوغوسلافيا .

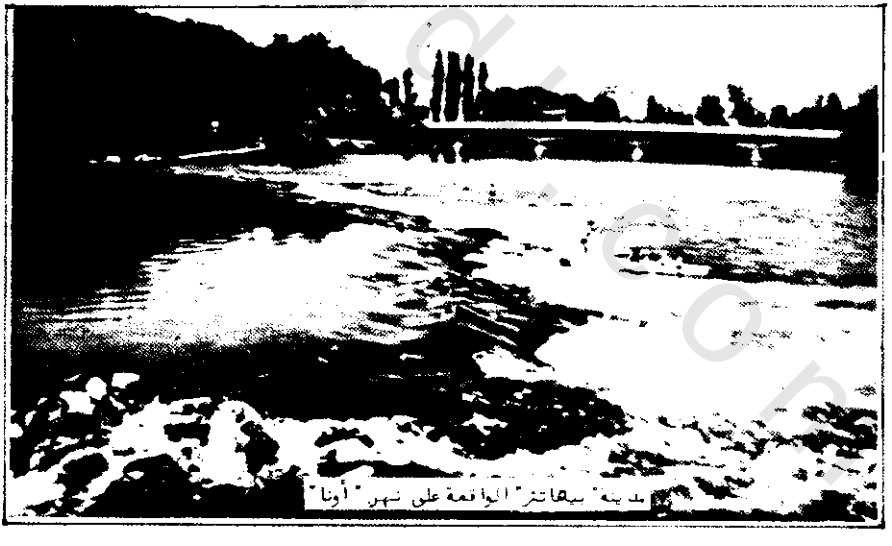

مدينة " بيلغراد " الواقعة على نهر " أونا "

DERVIŠ SPAHIĆ
درويش سباهيتش

الاخلاق والتقوى

اشرف

POUKE
O MORALU
I BOGOBOJAZNOSTI

III IZDANJE

SARAJEVO

KURANA

Preveo
BESIM KORKUT

باللغة البوسنوية

الفيلم
El-Kalem

SARAJEVO, 1989.

Alija Izetbegović
علي عزت بيغوفيتش

Islamska deklaracija

البيان الاسلامي

csna
Sarajevo, 1990.

٢٤٨

obeikandl.com

البوسنة والهرسك بين الحربين ١٣٣٦ ـ ١٣٦٠هـ ١٩١٨ ـ ١٩٤١ م

أن قيام مملكة الصرب والكروات والسلوفين، يعني لمنطقة البوسنة والهرسك بداية التقدم الاقتصادي والتعويض عمّا لحقها من تأخر في فترة مابين الحربين العالميتين فالتقت واصطدمت ـ هنا ـ المصالح الأجنبية التي كانت تسبب وتشعل الخلافات القومية والدينية، وكانت هذه الفترة بالنسبة للحياة الاقتصادية عبارة عن ركود كامل ـ تقريبا اذ كانت البوسنة والهرسك في حالة معيشية متأخرة.

أن فترة مابين عامي ١٣٣٦ ـ ١٣٦٠هـ «١٩١٨ الى ١٩٤١م»، لاتزال ماثلة ـ جزئيا ـ الى اليوم، كالتأخر العلمي والتعليمي بين سكان البوسنة والهرسك، لقد ورد عن احصاء السكان في عام ١٣٥٠هـ «١٩٣١ م» أن نسبة ٧٢٪ أمّيون من الذين تزيد أعمارهم عن العاشرة، وأن ٤٠٪ فقط من الأطفال كانوا ملتحقين بالمدارس، ومايزيد عن ٨٤٪ من السكان يمارسون الزراعة، أما بالنسبة للحال الصحية تبين ان نسبة الوفيات بين الاطفال بلغت «٣٥» مرة زيادة عنها في مناطق ـ يوغسلافيا ـ الأكثر تطورا، وأخيرا، كان ٦/٧٪ فقط من مجموع السكان كانوا يعملون في الصناعة والمهن المختلفة.

خلال الخمسين سنة الأخيرة، حدث تبدل هام في الحالة الاجتماعية والاقتصاديةفي البوسنة والهرسك، فألغي الاقطاع، وبدأ تطور الاقتصاد، وبعد انتصار الكفاح الشعبي في التحرير، تبعته عملية البناء الاشتراكي

السريعة والكثيفة.

في عام ١٣٦٠هـ «١٩٤١ م» وصلت الثورة الى أوجها وهي التي قامت بها حركة «بوسنة الفتية» ودامت المعارك أربع سنوات انتهت بتحرير يوغسلافيا من الاحتلال النازي.

أن البوسنة والهرسك كانت أرضها مسرحا لأشدّ المعارك الفاصلة وأهم أحداث حرب التحرير الشعبية والثورة الاشتراكية،.. وكان للبوسنة والهرسك دورا مشرّفا، كصلة رئيسية بين بلدان يوغسلافيا. وكنتيجة للكفاح المشترك في الحرب الفدائية والثورة الاشتراكية ودعماً للارادة والحاجة الحيوية الملحّة للطبقة العاملة وللشعوب والأقليات القومية في البوسنة والهرسك كانت الأسس التي نشأت وتطورت عليها دولة البوسنة والهرسك، ذات التسيير الذاتي كجمهورية حرة ومتساوية في جمهورية يوغسلافيا الاشتراكية الاتحادية - سابقا[٤٢]..

وبهذا أقيم - بشكل نهائي - اطار المجتمع السياسي الذي توفرت فيه الحياة الحرّة والمتساوية للشعوب: الاسلامية والصربية والكرواتية في البوسنة والهرسك، فيكون هذا التجمع الذي يعيش على أرض واحدة والكل من أصل سلافي.

ان قيام جمهورية البوسنة، الوطن المشترك للمسلمين والصرب والكروات - كانوا - يعيشون فيه كوحدة متساوية ضمن المجتمع الاتحادي لشعوب يوغسلافيا - سابقا - واقلياتها القومية... ان السنوات التي عاشتها البوسنة والهرسك في منتهى التخلف.. وتعرضت لأشد الدّمار كانت خلال الحرب،.. وبعد الحرب العالمية الثانية، بدأت البوسنة والهرسك بنهضة اقتصادية

---

(٤٢) انظر: البوسنة والهرسك / أمانة سر الاستعلامات للمجلس التنفيذي لجمهورية البوسنة والهرسك - سراييفو ١٩٧٤م (ص١٠ و١١)

وثقافية، اسرع واعظم منها في الماضي على الاطلاق،[٤٣]

التغيرات التي طرأت بعد الحرب العالمية الثانية

ان هذا البلد الزراعي، الواقع في مهب الريح والعواصف في البلقان، والغني بالغابات والمعادن الخام، وجمال الطبيعة، غيّر شكله بقفزات متتالية نحو التقدم الاقتصادي أكثر فأكثر، كما أن الانتاج الصناعي، ازداد في ربع القرن الأخير، بما يقرب من ثلاث عشرة مرّة وانتاج الطاقة الكهربائية ثمان وثلاثين مرة، وانتاج صناعة الحديد والصلب ثماني مرات، والصناعة المعدنية خمسا وعشرين مرة، والصناعة الكيماوية خمس مرات، ثم أقيم مايزيد عن ألف كيلو متر من السكك الحديدية الحديثة، وعُبّدت ثلاثة آلاف كيلومتر من الطرق، كما ازداد عدد العاملين خمس مرات، وأصبح التعليم النظامي يشمل واحداًمن كل خمسة من سكان البوسنة والهرسك.. أنّه في فترة قصيرة، منذ سنة ١٣٦٤ ـ ١٣٩٤هـ «١٩٤٥ حتى ١٩٧٤ م»، قد ازدادت الامكانيات والتطور للبوسنة والهرسك، أربع مرات.

لقد تغير التركيب الاقتصادي، تغيرا جوهريا، فمنذ ثلاثين سنة فقط كانت البوسنة والهرسك، تتصف بالتأخر والتخلف، حين كان الدخل القومي للفرد فيها قبل سنة ١٣٦٠هـ ١٩٤١ م يبلغ مايقل عن (١٠٠) مائة دولار امريكي، وأصبحت البوسنة والهرسك تنتج الطائرات، والسيارات، والآلات الدقيقة، وأجهزة التلفزيون والآلات الكاتبة والحاسبة[٤٤].

من هذا نرى أن كلّ تحوّل وتغيّر تحقق، يعتبر تحولاً اجتماعيا واقتصاديا حقيقيا للبوسنة والهرسك التي كان ٨٠٪ من سكانها عشية الحرب الثانية لم تكنِ قد أتيحت لهم فرصة معرفة الكتابة[٤٥].

---

(٤٣) انظر: المصدر السابق (ص١٠ و١١)

(٤٤) انظر: البوسنة والهرسك (ص١٢ و١٠٧) على التوالي

المسلمون في جمهورية البوسنة والهرسك

إذا كان الانسان في رحاب أرض كان انتشار الاسلام فيها واستمراره ـ برغم كل الصعاب ـ واحدة من معجزات هذا الدين الكريم، تنتابه أحاسيس مختلفة، خاصة عندما يرى مئذنتان تسموان في الفضاء وأنت في طريقك الى مدينة «سراجيفو» عاصمة البوسنة والهرسك، ويتابع المسافر رؤيته للمساجد وهي تتتابع وتزداد كثافة مع القرب من قلب الجمهورية[٤٦]، (وأنا، لاأستطيع أن أنسى منظرا يختلج له قلب المسلم عند رؤيته قرية ـ من بعيد ـ وهي جاثمة في خضم البساط السندسي الأخضر ببطن الجبل الأخضر، مغطاة بيوتها بالقرميد الأحمر، وتشمخ من وسطها مئذنة تبعث ـ في النفس ـ نشوة، مابعدها نشوة، ويتكرر المشهد الرائع وأنت تنتقل من مكان الى آخر بين مدن البوسنة والهرسك، وتصبح السّمات الاسلامية دليلاً واضحاً على اسلامية المنطقة).

السمات الاسلامية

ان الفاتحين العثمانيين، نشروا دينهم في تلك الربوع منذ القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ، ومهما قيل في تبرير ذلك المد الاسلامي ، فقد أينعت في قلب أوروبا، وعلى شواطىء الأدرياتيكي، شجرة باسقة جذورها اسلامية، وتربتها أوروبية، فأخرجت ثمراطيبا، غربي اللون، شرقي النكهة. ولم يكتف المؤمنون الجُدُد باتباع تعاليم دينهم الجديد فحسب، بل طوّروا ثقافة خاصة بهم، هي في الواقع عربية قرآنية، واتخذوا في الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية أنماطاًهي (أقرب) الى مظاهر الشرق الاسلامي،

---

(٤٥) انظر:المصدر السابق

(٤٦) انظر: المجلة العربية، العدد ٥ ـ ١٩٧٧ م ـ السنة الثانية، السعودية ـ الرياض، (ص٢٧ ـ ٢٨)

من حجاب المرأة أو اقتصاد في التبرج، وحرص على الطهارة.

وقد أجمع المؤرخون على أن شعورا بالتميّز، سامَ مسلمي البوسنة والهرسك، وان هذا الامر لم يعد يرتكز على الحياة الدينية فحسب، بل على الممارسات اليومية المتصلة بها. وعلى هذه المعطيات، بنى الماريشال «تيتو» نظرته اليهم في وقت مبكر من حكمه ليوغسلافيا، فقد أيقن أن هناك أمة اسلامية كاملة - لا جماعة من الصرب والكروات يدينون بالاسلام - واعتبر المسلمين (انهم) أصحاب الأكثرية النسبية في جمهورية البوسنة والهرسك.

وصارت كلمة «مسلمون» تكتب بالحروف الكبيرة، فهي عنوان قومية، وانتساب في هذه الجمهورية، وتسأل المسلم عن أصوله وجذوره، والى اي عرق ينتمي فيقول : أنا مسلم، وتحاوره، مستدرجا إيّاه في الحديث عن تاريخ أجداده، ويجيب باصرار قائلا، أنا مسلم، ولقد كان أجدادي صرباً أو كرواتاً أو من السلاف، إنما أنا مسلم!

ويسيء هذا الشعور المتنامي لدى المسلمين، الجماعة الصربية، وهي المعروفة بحدّة مشاعرها القومية، وتطرفها (وتعصبها الحاقد)، فتتهم السلطة بتكبير حجم المسلمين على أمل الاقلال من شأن الصرب والكروات معا، وهما الفئتان اللتان تتجاذبان التسلط على البلاد، ويفسر هذه الظاهرة.. مفكر صربي - ظاهرة نمو الشأن الاسلامي في يوغسلافيا - بأنه مسعى حثيثا، لخلق قوة ثالثة تجلب التوازن في علاقات الاخوين اللدودين!.

صفات متميزة

يشكل المسلمون جماعة مستقلة متميزة، لها الحق... بنمط معين من الادارة، ومشاركة في السلطة، وعندما عيّن الماريشال تيتو «جمال بيديك» (بيديتش) رئيسا اتحاديا للوزراء لم يكن بسبب سلامة نشأته في عيني رئيسه، بل لأنه ينتمي لقومية مسلمة يهمّه حضورها في رأس الهرم.

ولقد استطاع المسلمون بذلك تعزيز حياتهم الدينية، الأمر الذي يتوق

اليه أتباع الكنيستين: الكاثوليكية والأرثوذكسية، ولقد صرّح مدير التلفزيون في البوسنة والهرسك «فائق ديزدارفتش» - وهو كمسؤول حكومي -: يحاول المسلمون في طموحهم وتوقهم الى: مجتمع تنظّمه الشريعة الاسلامية[٤٧] ...

ومع أن هناك مسلمين نافرين من دين آبائهم، وآخرين يعيشون لامبالاة - مؤسفة - فان الغالبية العظمى، مسلمة ملتزمة ممارسة دينها، (وهذا مايذكرني بما شرح صدري أثناء تأديتي صلاة عيد الأضحى المبارك عام ١٤٠١هـ ١٩٨١م في سراجيفو بجامع «خسرو بك»، حيث امتلأ المسجد على رحبه، كما امتلأت باحته الخارجية وازدحمت بالمصلين، أديت معهم صلاة العيد واستمعت الى الخطبة التي أدّاها بالعربية - اولا - ثم باللغة المحلية خطيب المسجد الشيخ مصطفى الساعاتي (ساعاتيتش)، ان افتتاح أي مسجد جديد، أو مناسبة لأي عيد ديني يتيح الفرصة، لتجمعات يشارك فيها الجميع، وليس أبلغ من وصف «مجلة الاكسبريس» الفرنسية لهذا التيار الاسلامي حيث تقول:

«في بلد اشتراكي تؤمّن للحياة الروحية مجالا حيويا حرا، تعجز العقائديات المادية الهيمنة عليه، ولعل هذا أهم مايقلق المنظّرين الشيوعيين لو سارت الكنائس على خُطى المساجد في العالم الاشتراكي»!!

أعداء المسلمين الثلاثة:

في جامع «خسرو بك» في سراجيفو يقول خطيبه وامامه «الشيخ مصطفى» - وهو يتحدث بالعربية عن تاريخ الصراع المرير الذي خاضه المسلمون للحفاظ على عقيدتهم وتثبيت هويتهم: - «منذ قرن رحل العثمانيون عن هذه البلاد، وتتالت علينا قوى عدوة ثلاث: الامبراطورية النمساوية الكاثوليكية، ثم المملكة الصربية الارثوذكسية فالدولة الشيوعية الملحدة، ونحن لسنا

(٤٧) المصدر السابق (ص٢٨ - ٣١)

كما كنا، بل أفضل ـ ويأخذ الشيخ الحماس فيتابع : في كل بلد اسلامي قد ينتفع المتديّن بدينه، الا هنا، وعزاؤنا عن كل مَغْرم حُسنَ ثواب الآخرة».

التسابق لبناء المساجد

... في هذه الجمهورية يتسابق أهلها المسلمون على بناء المساجد ـ كما كان بين الأوليات أيام الفتح فما أن يحلّوا في بلد، حتى يقيموا مسجدهم ـ ولم تشذّ بلاد البوسنة والهرسك عن القاعدة، فمنذ القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، لم تخلُ قرية ـ مهما قلت شأنا ـ من مسجد. والمساجد بكثرتها تلبي حاجات المصلين، والظاهرة المحيّرة التي وقفت عندها صحف غربية كبرى عديدة منها : «لو سوار» البلجيكية و«تايم» الاميريكية، و«الاكسبريس»، الفرنسية، ظاهرة النشاط الهائل في تعمير المساجد، بحيث تحصي بدقة الاكسبريس، «أن ماشيد منها خلال عشر سنوات، جاوز المائتين، في جمهورية يتراوح عدد مسلميها، مابين المليون ونصف، والمليونيين».

ولايحسبن أحد أن الصحافة الغربية فرحة بازدهار الاسلام في تلك الربوع حباً به، ولوجه الله، بل الظاهرة (هي) تحدٍ للنظم الشيوعية!![٤٨].

ويشرح هذه الظاهرة الطيبة في بناء المنتديات والمكتبات والمساجد، شيخ بلدة «أرجليك[٤٩]»، القريبة من سراجيفو فيقول: «ان كل ماينفق على هذه الابنية كي تلبي الحاجات الثلاث (للمسلمين): العبادة، الدرس الديني، اللقاء الاجتماعي فالمطالعة. وعندما تعجز الأموال العامة ـ وهي أصلا من كدّ وعرق المسلمين ـ يردفونها بالتبرع الشخصي والجهد العضلي، وقال: «أن أكثر من مائتي طفل يتعلّمون تعليما دينيا منتظما.. فيكون أن غالبية الجيل .. الصاعد، يتلقن الاسلام وفضائله، وأنه يتربى على الشعور بأن

---

(٤٨) انظر: المجلة العربية، العدد ٥ (ص٢٧ ـ ٣٢)

(٤٩) شيخ أرجليك: فتى يافع، تخرّج من كليّة الشريعة بدمشق.

المؤمنين أخوة. وأن «مكة» مهوى أفئدة الصغار قبل الكبار، أن مناسبة عودة الحجاج من الديار المقدسة... يحييها المسلمون بالأفراح والأعياد..![٥٠].

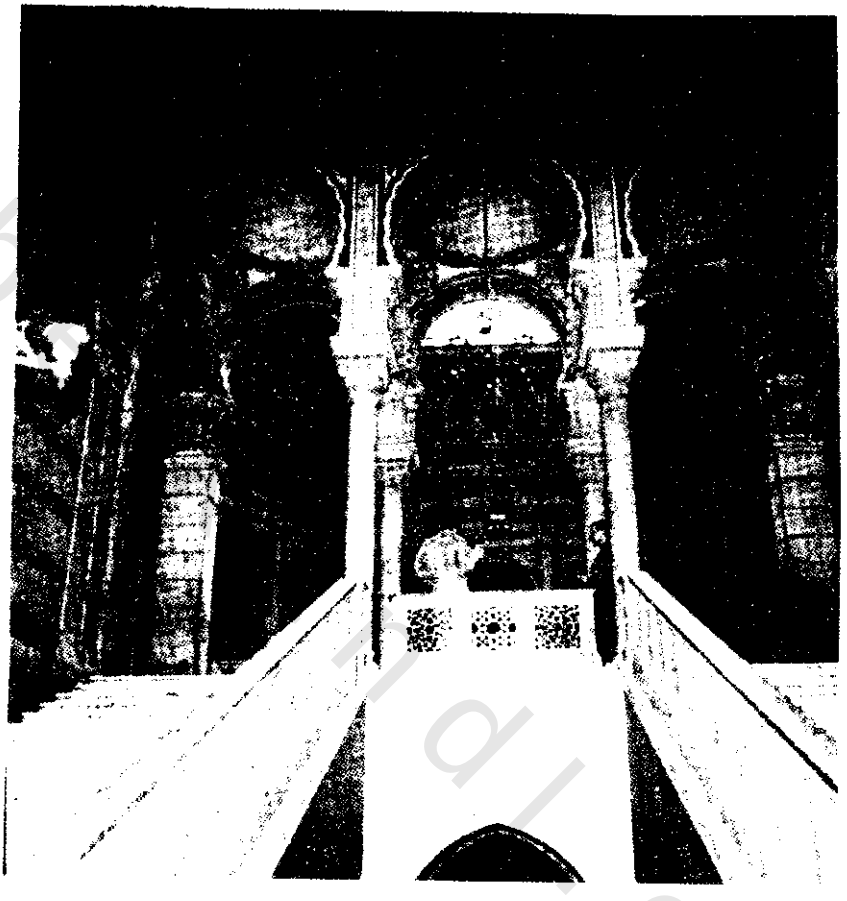

مكتبة غازي خسروبك في سراييفو ،من الداخل عمرها قرابة ٥٠٠ عام ونمط العمارة نمط شرقي خالص

(٥٠) انظر: المصدر السابق نفسه.

التأثيرات الاسلامية في الأرض اليوغسلافية

منذ قرون طويلة والأذان يتردد من منارات ومآذن مدينة سراجيفو الاسلامية في قلب أوروبا حاملا الى اصقاعها النائية باستمرار، نداء الايمان وأصداء الهدى ودعوة الحق.

وبرغم مرور تلك القرون، وماشهدته تلك المنطقة من حروب وأحداث مازالت سراجيفو - التي تشهد اليوم أكبر المحن - ، مازالت اسلامية الروح والشعائر والطلعة والايمان. فقد ترك الاسلام في الأراضي اليوغسلافية العديد من التأثيرات الاسلامية، وعمّق جذورها بين سكان هذه المناطق، وهذه التأثيرات والعناصر مازالت موجودة، شاهدة على عظمة ماخلفه المسلمون في كل بقعة وصلوا اليها، ونظرا لما للمساجد من اهمية كبيرة ودور متعدد الجوانب في المجتمع الاسلامي فقد شيّد المسلمون عدداً كبيراً منها، وكان عدد المساجد الكبيرة في كل مدينة اسلامية يمثل أحد المؤشرات لأهمية المدينة وضخامتها.

ويُعتبر السادس من شهر ... سبتمبر (أيلول) «١٩٨٧ م»، المحرم ١٤٠٨هـ والتاسع من شهر يناير (كانون الثاني) «١٩٨٨م» جمادى الاولى ١٤٠٨هـ، يومان متميزان جدا في حياة المسلمين اليوغسلاف حيث زحف عشرات الألوف منهم من مختلف أنحاء البلاد للمشاركة في الاحتفالين لافتتاح المسجدين الجديدين، الأول في مدينة «زغرب» (عاصمة جمهورية كرواتيا) والثاني في مدينة «كرالجفيك[٥١]».

مئذنتان انتصبتا في بلد الألفي مئذنة، حيث تشير بعض الأرقام التقديرية الى أن هناك «٢٣١٤ مسجداً» في يوغسلافيا بالاضافة الى «٧٧٣ مصلى»، وتسع عشرة خلوة صوفية، الى جانب مئات المدارس القرآنية المنتشرة في مختلف انحاء البلاد[٥٢].

اللغة العربية والاسلام

كانت اللغة العربية تتبع الاسلام حيث سار، وتثبت أقدامها أينما نزل. ولكن كانت هناك محاربة واسعة للحرف العربي لدى الأقليات الاسلامية في العالم، والامثلة كثيرة:

١ ـ في الصين :

من الأمور المستقرة، أن تعطى كل قومية حق استخدام لغتها في حدود موطنها، وأن تُعلّم هذه اللغة في المدارس والمعاهد، ويعمّ استخدامها في دواوين الحكومة، كما أن طلبة المدارس، يجب أن يدرسوا لغة الوطن الأم، وهي اللغة الصينية أو لغة قومية «الهان» التي هي ايضا لغة المسلمين من قومية «هوى[٥٣]»، غير أن هذه القاعدة مطبقة على كافة القوميات، باستثناء قومية واحدة، هي «الويغور[٥٤]». الذين حرموا من استخدام الحروف العربية واستبدالها بحروف لاتينية.... وحسب الرأي الرسمي ـ لحل مشكلة اللغة التي هي بحاجة الى تطوير..

---

(٥١) كرالجفيك: (كراجوفيتش) مدينة في جمهورية صربيا الى الجنوب من بلغراد

(٥٢) انظر: المسلمون في العالم (٣٨٧ ـ ٣٨٨

(٥٣) هوى قبيلة صينية، ينتمي افرادها الى اصول عربية وفارسية، ويقدر عدد مسلميها (ستة ملايين ونصف)، وتنتشر في الجنوب والوسط والشمال

(٥٤) الويغور: قبيلة صينية أخرى مسلمة، تنتمي الى أصول تركية، وهي في حدود (خمسة ملايين) نسمة، وتقطن مع باقي المسلمين في الغرب

٢ ـ في الاتحاد السوفييتي (سابقـــا):

عندما كانت اللغة الاوزبكية بالحروف العربية، قرر «ستالين»[٥٥] الغاء هذه الحروف واستبدالها بالحروف اللاتينية، وظلت كل قوميات الاتحاد السوفييتي تستخدم لغتها بغير تبديل أو تعديل، باستثناء قومية واحدة التي ينتمي اليها المسلمون الاوزبك الذين حرموا... من استخدام حروف القرآن الكريم..!

٣ ـ في تركيـا :

حيث لجأ مصطفى كمال «أتاتورك» الى إبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية ـ وحسب رأيه ـ ليطوّر اللغة التركية، ولكنه فعل ذلك ليقطع كل صلة للاتراك بشخصيتهم الاسلامية، وارتباطهم بتاريخهم الاسلامي وتراثهم الثقافي.[٥٦]

(واذا قرأنا التاريخ فسيطلعنا على أنه ماوُجد المستعمر ببلد اسلامي الا وحاول المستحيل ليبعد شعبه عن تعلقه باسلامه وقطع صلته بها، لأن لغة القرآن هي العروة الوثقى التي تحافظ على الشخصية الاسلامية، مهما حاولوا تغريبها، وأكبر مثل لهذه الرابطة الروحية، ماحدث في القطر الجزائري، حيث كان تمسك المسلمين باللغة العربية والقرآن هو الدافع الاقوى لاسترداد الجزائر المجاهدة استقلالها وحريتها بعد استعمار فرنسي شرس دام «١٣٢» سنة منع فيها استخدام العربية في كل مناحي الحياة، فالمحافظة على صلة الجزائر بلغة القرآن هي التي أعادت شعبها للصف الاسلامي).

---

(٥٥) ستالين: (١٨٧٩ ـ ١٩٥٣م): سياسي روسي من رجال الثورة. أمين عام الحزب الشيوعي «١٩٢٢م»، خلف لينين في زعامة الحزب والدولة السوفياتية.. استبد بالسلطة، من أكبر قادة الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، هوجم بعد وفاته لتسلطه... انظر المنجد في الاعلام ط ١٦ (ص٢٩٦)

(٥٦) انظر: الاسلام في الصين (ص١٧٢ ـ ١٧٤م).

التراث الاسلامي ولغة «أتا تورك»

«كان المسلمون العرب يتطلعون الى أن تأخذ الدولة العثمانية باللغة العربية، لغة لها، غير ان التحول الذي واجهته تركيا في الحرب العالمية الأولى وانسلاخها عن العالم العربي، وعن الاسلام، دفعها للتخلص من الأثر العربي، وكان اساس الانقلاب كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية... بعد أن كانت تستعمل الحروف العربية[٥٧].

حيث عقدت مؤتمرات عدة، أخرجت «١٣٦٥٠» كلمة عربية، حلّت بدلا منها كلمات تركية... وقد أشار الباحثون الى مدى الأثر الخطير الذي حققته هذه التجربة، حيث فقدت تركيا تراثا ضخما يتمثل في مئات المجلدات في الأدب والنقد والثقافة التي كتبت باللغة التركية العثمانية.. ومن الجدير بالذكر، أن دراسة التاريخ العثماني واهميته تتعلق بأرشيف دار الوثائق التابعة لمديرية الأوقاف العامة بأنقرة، لأنه يحوي حوالة «٢٠٠٠»... من الوقفيات المدونة باللغة العربية، لذلك عينت دار الوثائق عددا من الموظفين لنقل وترجمة الوثائق المكتوبة باللغة العربية، أو التركية العثمانية المكتوبة بالحروف العربية، الى اللغة التركية الحديثة... وهناك نوع آخر من الوثائق الأرشيفية تسمى «سجلات القاضي» «الموجودة في عدد من المتاحف والمكتبات، عبر البلاد التركية والبلاد العربية والبلاد البلقانية[٥٨]».

اللغة صورة لمجتمعها :

أن أي لغة تكون صورة صادقة للمجتمع الذي تنشأ فيه، وموجزا لما

---

(٥٧) انظر: العالم الاسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي/ أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني ط٢، ١٩٨٣ م (ص٣٩٥).

(٥٨) انظر مجلة الدارة، السعودية، الرياض، عدد ٤ السنة ١٥ رجب و شعبان ورمضان ١٤١٠هـ (ص٩٦ - ٩٧

تعرفه هذه الأمة في حياتها اليومية و كيانها الاقتصادي والسياسي وسلوكها الديني، والاعلامي، وتقدمها العلمي والفني.

فاللغة - أي لغة - هي أعظم الاكتشافات التي اهتدى اليها الانسان، وبالنسبة للغتنا العربية، فالاعتبار الديني هو أهم شيء للاهتمام بها، وخاصة للمسلمين غير العرب.

فالعربية لغة القرآن والحديث، والفكر الاسلامي ، وهي مصادر الشريعة الاسلامية، فلا بد أذن ان تعرف، العربية..،والصلاة - وهي أهم ركن في الاسلام من أركانه الخمسة، - فرضها الاسلام بالعربية، فلا يبيح معظم الفقهاء، قراءة الفاتحة في الصلاة مترجمة الى لغة اخرى.. ولاشك في أن كل حريص على دينه من المسلمين.. جدير بالسعي وراء الاحاطة بالعربية.... وقد أعلن علماء الدين : أن الجهل بالعربية واحد من أسباب الالحاد[٥٩].

شهادة هامة:

يقول المشترق «ريتر» استاذ اللغات الشرقية بجامعة استانبول - وهو من المخضرمين - ومن الذين حاضروا في الجامعة قبل حركة مصطفى كمال وبعدها :«ان الطلبة قبل الانقلاب، كانوا يكتبون ماأملي عليهم من محاضرات بسرعة فائقة - لأن الخطّ العربي اختزالي بطبعه .. أما اليوم فهم لايفتأون يطلبون اعادة العبارة مراراً، وهم معذورون فيما يطلبون، لأن الكلمة اللاتينية لااختزال فيها... ثم أضاف : «ان الكتابة العربيةأسهل كتابات العالم، وأوضحها، فمن العبث اجهاد النفس في ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل، وتوضيح الواضح ....[٦٠]».

---

(٥٩) انظر: مجلة العربي، العدد ٣١٢ - ربيع الأول ١٤٠٥ هـ وتشرين الثاني ١٩٨٤ م (ص٩١).

(٦٠) انظر: مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية/ دولةالامارات العربية المتحدة =

أدب اسلامي يـوغسلافي

(الأدب هو صورة للمجتمع الذي نبع منه، وهو المرآة التي تعكس الحياة الانسانية بكل نواحيها، وهو أيضا، النبض الحي الذي يجعلنا نسبر كل التطورات والتأثيرات التي طرأت على هذا الأدب، من تغيرات حضارية، وسكانية، ولغوية، ثم روحية.

من هذا المنطلق نحاول ان نتعرف على الأدب الذي نما على الأرض اليوغسلافية، وبخاصة أدب المسلمين فيها والتطورات التي طرأت عليه)..

تأثيرات ثقافية مختلفة:

«تعرضت شعوب يوغسلافيا عبر تاريخها، لعديد من التأثيرات الحضارية والثقافية.. فكان لانقسام العالم المسيحي بين روما ـ الكاثوليكية ـ وبيزنطة ـ الارثوذكسية ـ تأثير سيء على الشعوب اليوغسلافية.

وحلّ العثمانيون محل البزنطيين في دور الوسيط والناشر لعناصر الحضارة والثقافة الشرقية (الاسلامية) بين سلاف البلقان».

ان التأثيرات العثمانية، عمّقت جذورها لدرجة كبيرة. حتى أنها مازالت موجودة حتى اليوم، رغم انحسار وزوال السيطرة العثمانية عن يوغسلافيا. فالمدن والقرى في أكثر أرجاء يوغسلافيا، تعطي الصورة الواضحة لتعدد وعمق التأثيرات الاسلامية والعربية والشرقية التي نقلها العثمانيون، حتى أن اللغات اليوغسلافية ـ كلّها ـ ضمّت كلمات عربية وفارسية وتركية، بالآلاف، وقد وصلت لأماكن لم يحكمها العثمانيون مثل : دوبروفنيك[٦١]، وسلوفينيا،

= دبي، العدد الأول ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م (ص٢١٦ ـ ٢١٧)

(٦١) دوبروفنيك: لؤلؤة الادرياتيكي، مدينة سياحية قديمة، كانت تحت الحماية العثمانية

هذا ـ بالاضافة الى التغييرات الكبيرة الطارئة على عناصر وقوميات يوغسلافيا.

الاسلام والثقافة :

اعتنق الاسلام عدد كبير من أفراد الشعوب اليوغسلافية، من : مقدونيين، وصرب، وكروات، وألبان، في ظل العثمانيين ـ بالاضافة الى البشانقة الذين وصلوا الى البلقان وهم مسلمون ... واليوغسلاف باعتناقهم الاسلام، اتجهوا في ثقافتهم الى الشرق وتقبلوا الاسلوب الاسلامي العربي في كثير من مجالات الحياة، حتى ان الذين ظلّوا على دينهم غير الاسلامي، تقبلوا أيضا العديد من عناصر الثقافة والحضارة الاسلامية الموجودة في جميع فروع حياة الشعب(٦٢).

الكتابة باللغة العربية:

مثلما تنتشر اللغة العربية في الأقطار التي ينتشر فيها الاسلام، كذلك تنتشر العناية بالكتابة العربية والتفنن بالخط العربي.

وفي هذا الموضوع صدر كتاب للدكتور «توفيق مفتيتش dr. teufik muftitć» بعنوان «الخط العربي»، كمانشر مُعجما «عربياً ـ صربو كرواتيا»..

لقد اعتمد كثير من العلماء والمثقفين المسلمين في يوغسلافيا السابقة، الكتابة باللغة العربية، كما كتبوا باللغة المحلية، بحروف عربية.

ولقد برز عدد من الخطّاطين، وأهمهم ـ على سبيل المثال ـ: ابراهيم شيخوفيتش(٦٣)، الخطّاط الذي يُعتبر ـ دون شكّ ـ من أبرز المبدعين في هذا

---

(٦٢) انظر: الأدب اليوغسلافي المعاصر / د. جمال الدين سيد محمد، الكويت ١٩٨٤ (ص١١ ـ ١٨).

(٦٣) انظر: فقرة التراث الاسلامي في يوغسلافيا السابقة «المصاحف» في الصفحات =

المجال،.. وكان من عادته، أن يكتب في كلّ نسخة يكتبها من القرآن الكريم، رقم النسخة مع اسمه الكامل: «ابراهيم ابن الحاج محمّد السرائي »، وقد بقيت نسخة مما كتبه تحمل الرقم (٦٦)، وتعود الى سنة ١٢٢٦هـ ١٨١١م، وهذا يعني أن الامام ابراهيم، قد أبدع بخط يده (٦٦) نسخة ـ على الأقلّ ـ من القرآن الكريم.

والى جانب الكتابةباللغة العربية، فقد كتب أدباء من البوسنة مؤلفاتهم بلغتهم المحلية ولكن، بحروف عربية، وأقدم نص باللغة الصربو كرواتية كتب بحروف عربية، يعود الى سنة ٩٩٦/ ٩٧هـ ١٥٨٨/ ٨٩م وهو عبارة عن قصيدة لشاعر اسمه «محمد الأرديلي».

وبعد عدة قرون حصلت مطبعة سراجيفو في بداية هذا القرن، على الحروف العربية اللازمة،.. وقد صدر عن هذه المطبعة بين (٤٠ الى ٥٠ كتابا)،.. وقد تطور الأدب البوسنوي المكتوب بحروف عربية، فكانت أبجدية غالبية البوسنويين المسلمين حتى مطلع هذا القرن، وكان ٩٠٪ منهم لايعرف أيّة أبجدية أخرى باستثناء الأبجدية العربية[٦٤]...، وأوضح صورة للتأثير العربي الاسلامي على الأدب اليوغسلافي، مما كان في الأعمال الأدبية من نتاج المسلمين اليوغسلاف ـ وبخاصة مسلمو البوسنة والهرسك ـ باللغات العربية والفارسية والتركية، طيلة حكم العثمانيين لهذه المنطقة، ويربوا عدد المؤلفين اليوغسلاف بهذه اللغات، على ثلاثمائة، ألفّوا في العلوم باللغة العربية، وفي علوم الدين، والتصوّف، وتاريخ الشعوب الاسلامية، وفي مختلف النواحي الأدبية، وعلى الأخص، في مجال الشعر، الذي كان متطورا ومزدهرا.. وفي مجال النشر، وأدب الرحلات. مارس أدباء البوسنة والهرسك ـ المسلمون ـ التأليف باللغة العربية، مباهين بقدرتهم على النظم بلغة القرآن، كانت جلّ

= التالية.

(٦٤) انظر: مجلة العربي العدد ٢٩٩ تشرين الأول ١٩٨٣ (ص٤٨ ـ ٥٣)

موضوعاتهم ترتبط بمنطقة البوسنة والهرسك، ووصف مدنها وأحداثها، شعرا، وفي أدب الرحلات، يصف فيه مؤلفوه الاماكن البوسنوية التي يمرّ بها الحجاج في طريقهم الى بيت الله الحرام، ونجد في هذا الأدب، نغمة وطنية جلية، وارتباطا واضحا بوطنهم، وفي هذا نجد تأثير الادب الشعبي للمسلمين...[٦٥].

لغات اسلامية:

كانت اللغة التركية هي اللغة الرسمية في الامبراطورية العثمانية، بينما العربية علاوة على استخدامها في الأغراض الدينية، كانت تُستخدم - في الأغلب - للاتصال العلمي أما الفارسية فكانت تسيطر على مجال الأدب الجميل - وبخاصة - الشعر... وكانت الأولوية في الحياة العامة، لهذه اللغات الثلاث، ومن أراد أن يصل الى أعلى المناصب الاجتماعية والسياسية، كان عليه أن يعرف هذه اللغات، أو واحدة منها...

الكتاتيب

كماانتشرت الكتاتيب بهذه البلاد، وبصفة خاصة في سراي بوسنة، وموستار التي كان فيها(١٦) (كتّاباً) أثناء الحكم العثماني لها، أقدمها «كتّاب جامع كيوان كتخدا»، ويعود تاريخ انشائه الى سنة ١٥٥٤ م(٩٦١هـ)، ويُحتمل وجود كتاتيب قبل ذلك..، وأشهر الكتاتيب المعروفة بمدينة «موستار» في الفترة من ١٣٦٥ - ١٨٧٨م (٨٦٩/ ٨٧٠ - ١٢٩٦هـ) كتاتيب: قره كوزبك، وكيوان بك، ودرويش بك، وبيازيد آغا زاده، والحاج بالي، والحاج أحمد بك، وسباهيتش[٦٦]

---

(٦٥) انظر: المصدر السابق نفسه

(٦٦) انظر: مجلة الفيصل السعودية، العدد ٢٠٣ (ص٢٩ - ٣١).

كانت البوسنة والهرسك في هذه الآونة غنيةً بالتقاليد الثقافية الاسلامية، وكانت الكتاتيب والمدارس، هي اساس الثقافة الاسلامية. ومن المدارس المشهورة: مدرسة غازي خسرو بك، التي أسسها في عام «٩٤٤ هـ ١٥٣٧ م». وكان مدرسها - في الغالب - هو مفتي سراجيفو، وفي بعض الأحيان، كان يأتي للتدريس فيها أكثر الناس علما.... وانتشرت المكتبات العامة والخاصة، التي تحتوي على كتب أغلبها باللغات: العربية والتركية والفارسية[٦٧].

التـــــراث الاسلامي:

أ - مكتبـات اسلاميـة:

وقد بلغ عدد هذه المكتبات حتى بداية القرن التاسع عشر، خمس مكتبات عامة وعددا كبيرا من المكتبات الخاصة. وكانت المكتبات العامة، موجودة في المدارس وبعض الكتاتيب، وكذلك في بعض المساجد، وكان عدد قرّاء الكتب، كبيرا. ولاشك أن القرآن الكريم، كان أكثر الكتب قراءة، ويليه الكتب الدينية بوجه عام وعلى الأخص، مما كان يدرّس منها في المدارس، ثم كتب الأدب والتاريخ، والطب البشري والطب البيطري، والزراعة وغيرها.

والمكتبات على ثلاثة أنواع:

١- المكتبات الخاصة. ٢- مكتبات الجوامع والزوايا والتكايا. ٣- مكتبات المدارس، وهي في الحقيقة أهم هذه المكتبات لأنها من نوع المكتبات العامة، لأن الأهالي يستطيعون الاستعارة من كتبها لقراءتها أو نسخها.. وتعتبر مكتبة «اسحق بك» التي تقع ضمن مدرسته في سكوبيا من أقدم المكتبات في يوفسلافيا السابقة، إذ انشئت قبل سنة ١٤٥٥م (٨٥٩هـ) وكانت تحتوي على مخطوطات معظمها مدوناً باللغة العربية، وتشمل علوم: التفسير والحديث والفقه واللغة العربية والفتاوى. وتعتبر مكتبة الغازي خسرو بك

---

(٦٧) انظر: المصدر السابق(ص٦٧).

في سراجيفو ـ حالياً ـ أكبر مكتبة في البلاد، وقد ازدادت ثروتها من الكتب الموقوفة من أهل الخير والاصلاح، بالاضافة الى الكتب التي جاءت من بعض المكتبات البوسنوية، فأصبحت مكتبة خسروبك من أغنى مكتبات المخطوطات الشرقية في أوروبا..[٦٨].

٢ ـ المصاحف :

مجموعة من المصاحف تحويها مكتبات «سراجيفو»، مكتبة غازي خسروبك ومكتبة معهد الدراسات الشرقية، والمكتبة الشعبية العامة، وخزينة الوثائق في سراييفو.

وقد خطّ هذه المصاحف مسلمون من البوسنة، ومن أروع تلك المصاحف، مصحف كتبه «حسين البوسنوي» سنة ١٧٥٥ م (١١٦٨هـ) ..فيه تذهيب رائع لأوائل الحروف، ونهايات الصفحات، وأواخر الآيات وبداية كل سورة. ومصحف كتبه «درويش عبد الحميد لسقويكلي» سنة ١٨٤١ م ـ (١٢٥٧هـ)..

ومصحف آخر كتبه «حافظ ابراهيم السرائي» وقد انتهى من كتابته سنة ١٧٨٠ م (١١٩٤ هـ).. وحافظ ابراهيم السرائي كان إماماً في مسجد السلطان بسراجيفو..

كان ينتهي من كتابة المصحف في أقل من سنة، والمصاحف التي كتبها تعتبر من أروع المصاحف من ناحية التذهيب والزخرفة.

ومن المصاحف النادرة، مصحف باسم الوزير الكبير «محمد باشا صقوللو» المتوفي سنة ٩٨٧هـ ١٥٧٩ م. ومصحفه ـ هذا ـ يعدّ من أروع ما كتبه «السرائي»، فيحتوي على (٢٢) جزءا من القرآن الكريم، ولا يُعرف شيئا

---

(٦٨) انظر: مجلة الفيصل/ العدد ٢٠٣، جمادى الاولى ١٤١٤هـ ـ ت١ وت٢، ١٩٩٣م (ص٣٠).

عن الأجزاء الأخرى، وكلّ جزء مجلدّ على حدة، ويمتاز كلّ جزء بتنوع زخارفه.

.. لقد اشتهر في كتابة هذه المصاحف مشاهير الخطاطين ـ وقد مرّ ذكر بعضهم ـ وبالاضافة الى الأسماء السابقة، نذكر أيضا، حافظ مصطفى بن عمر الموستارى، ومصطفى البوسنوي المعروف بـ (الكتابي)، وحافظ حاجي نسيم زاده الاقحصاري، وابراهيم بن مصطفى، وحسين بن علي. وهناك غيرهم لم يسجلوا أسماءهم على أعمالهم تأدبا واحتراما، فكلام الله أكبر من الأسماء.

الى جانب المصاحف الموجودة في مدينة «سراجيفو»، هناك مصاحف أخرى في «سكوبيا»، (خزينة الوثائق لجمهورية مقدونيا)، وفي «زغرب» عاصمة «كرواتيا»، (القسم الشرقي من المعهد التاريخي) وفي مدينة «موستار» (خزينة الوثائق للمدينة)، وفي عاصمة يوغسلافيا السابقة «بلغراد» (مكتبة الجامعة)، وتوجد مصاحف في مدن أخرى..[٦٩].

٣ً ـ الجوامع والمساجد[٧٠]:

تنتشر المساجد والجوامع في جميع أنحاء يوغسلافيا السابقة، ففي «سراي بوسنة» كان (٧٧) جامعا و(٩٣) مسجدا، أكبرها جوامع: سلطان باشا، فرهاد باشا، خسروبك، الغازي علي باشا، عيسى باشا،.. وغيرها.

..أما في مدينة «سكوبيا عاصمة جمهورية «مقدونيا»، كان قد بقي فيها «ثلاثة عشر جامعا» صالحة للصلاة منها: جامع عيسى باشا، وجامع يحيى

---

(٦٩) انظر: الفيصل المصدر السابق (ص٣١).

(٧٠) للمعرفة بالتفصيل عن المساجد والجوامع والمعالم الاسلامية التي دمرت خلال الحرب واعتداءات الصرب والكروات انظر: الملحق الخاص بتدمير المعالم الاسلامية في البوسنة والهرسك

آغا، وجامع محمد بك.. الخ، ولكن هذه الجوامع منعت السلطات اليوغسلافية السابقة ترميمها، وكان هدفها من ذلك ازالة الهوية الاسلامية للمدينة.

كان في موستار خمسة واربعون جامعا ومسجدا، دمّر معظمها في الحرب الأخيرة (بعد تفكك الاتحاد)، من هذه الجوامع: جامع سنان باشا، بني ١٤٧٦م (٨٨١هـ)، وهو أقدم جوامع موستار وأوسعها، هدمه الشيوعيون سنة ١٩٤٩م (١٣٦٨هـ)، جامع قره كوز محمد بك بني سنة ٩٦٥هـ-١٥٥٧م، وهو من أجمل جوامع الهرسك، وهو من تصميم المعماري المشهور «سنان»، جامع نصوح آغا بني سنة ٩٣٥هـ ١٥١٨م، قبّته ثالث أكبر قبة جامع في موستار بعد قبة جامع قره كوز، وقبة جامع كوسكي محمد باشا وكان جامع نصوح أغا عامرا حتى دمّره الصرب في نيسان/ أبريل ١٩٩٢م (شوال ١٤١٢هـ)، وأكمل تدميره الكروات بعد ذلك[٧١].

٤ ـ المدارس (مدرسة الغازي «خسروبك»):

اشتهرت يوغسلافيا السابقة بكثرة المدارس فيها، ولعلّ أشهر هذه المدارس «مدرسة الغازي خسروبك» في سراي بوسنة «سراجيفو»، ويرتبط اسم الغازي خسروبك بهذه المدينة. فقد تولى مقاليد أمورها منذ النصف الأول من القرن السادس عشر (١٥٢١-١٥٤١م) و(٩٢٧-٩٤٨هـ)، وأقام مجموعة من المنشآت المدنية والتعليمية والاجتماعية والدينية. وخلال فترة حكمه نمت مدينة سراي بوسنة وتطورت بحيث أصبحت مدينة كبيرة ومركزا لمنطقة البوسنة والهرسك من النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية.

وأوقف الغازي خسروبك جميع املاكه لمدينة «سراي بوسنة». فقد ترك مطبخاً ومطعماً عمومياً وحماماً وخاناً وسوقاً كبيرة، وشبكة أنابيب لنقل المياه الى أربعين صنبورا عموميا (سبيلاً)، وكثيرا من المشروعات المرتبطة

(٧١) انظر : الفيصل (ص٢٩ - ٣٠)

بالمشروع الاساسي، كالمدرسة والمسجد والمكتبة، وترك أموالا كثيرة من أجل الانفاق عليها والتكفّل بها.

وقد تمّ الانتهاء من تشييد مدرسة الغازي خسروبك في عام ٩٤٤هـ (١٥٣٧ ـ ١٥٣٨م).

والمدرسة من الناحية العمرانية، مشيّدة على نظام المدارس العثمانية التقليدية التي عادة ماتكون مستقلة ومغلقة. ولها فناء محاط من جميع الجهات بحجرات للتلاميذ والاساتذة، وهناك عبارة منقوشة على مدخل المدرسة، ترحب بالزائرين والقادمين، وتذكر الذين مرّوا عبر هذا المدخل منذ ما يزيد على أربعة قرون ونصف القرن، وتقول العبارة: «شُيّد هذا المبنى من أجل أولئك الذين يطلبون العلم». ومن الجدير بالذكرأن أول من تولّى التدريس في هذه المدرسة كان شخصا عربيا عرف باسم: «عرب خوجا arap hodža[٧٢]».

الجوهر الأسني في تراجم علماء وشعراء البوسنة:

.. نشر المشترق «محمد البوسنوي» المعروف بـ «الخانجي»، في القاهرة عام «١٣٤٩ هـ ١٩٣٠ م»، كتابه القيّم «الجوهر الاسنى في تراجم علماء وشعراء البوسنة» وهو دراسة قيّمة للأدب المكتوب باللغات، العربية والتركية والفارسية. وقد وجد محمد البوسنوي، ان الأدباء من بني وطنه، كتبوا في موضوعات ومجالات متعددة منها : علوم الدين، والتاريخ، وأدب الرحلات، والشعر، وفي علوم اللغة، ثم الجغرافيا، والحيوانات، والرياضة، والمنطق، والوعظ، والادارة الحكيمة، وتنظيم الدولة، والطهارة، وخلافه. ومن أبرز أدباء البوسنة والهرسك، الذين كتبوا باللغة العربية «أم هانة تشوفيدينا» و «مصطفى فيراقي» و«عارف حكمت» و «فيظو صوفتا» وغيرهم[٧٣].

---

(٧٢) انظر: الاسلام في يوغسلافيا من بلغراد الى سراييفو (ص١٧٣).

وممن وردت اسماؤهم في كتاب «الجوهر الاسنى» الاعلام المذكورة فيمايلي:

حبيبة بنة علي باشا:

ولدت عام (اثنين وستين ومائتين وألف) وكان أبوها والي (بلاد الهرسك) وبعد موت أبيها هاجرت مع العائلة الى «أناطولي» وتزوجت هناك وتوفيت في «استانبول» سنة (ثمان وثلاثمائة وألف) وذكرتها «زينب فواز» في كتابها (الدّر المنثور في تراجم ربّات الخدور) فقالت: حبيبة هانم ابنة علي باشا الهرسكي، من أديبات الاستانة وشاعرات العصر، وهي نادرة زمانها، حازت من الفصاحة والآداب الجزء الأعظم، ولها أشعار رائعة، ومعان فائقة.

وقد أورد الاستاذ «محمد أفندي ذهني»شيئا من روائع شعرها في كتابه.. «مشاهير النساء»، ولها ديوان مرتّب..

الشيـــــخ حسن كافي الأقحصارى: ٩٥١ ـ ١٠٢٥هـ

هو حسن بن طورخان بن داوود بن يعقوب الاقحصارى المشهور بـ (كافي) العالم الجليل، والفاضل النبيل. البصير بمسائل الفقه، المتضلع في أصوله النحوى الصرفي، راسخ القدم في علم أصول الدين. الأديب الشاعر، المصلح الماهر، وبالجملة، فهو فخر تلك البلاد، ورئيس علمائها الأطواد، ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ـ ولد في بلدة «أقحصار» وأهل تلك البلاد يسمونها بـ «بروساج» سلك طريق التعلّم حتى نال من العلم الحظ الأوفر، ورزق من جيد الفهم، النصيب الأكبر، وتقلّد مرات وظيفة القضاء في مختلف البلدان، فحملها مع عدل كامل، وزهد وافر، الى أن صار قاضيا في بلد ولادته، ودام على ذلك الى أن طوى سجلّ عمره في (الليلة الخامسة عشرة

---

(٧٣) انظر: الأدب اليوغسلافي المعاصر (ص٦٦ ـ ٦٧)

من شعبان سنة خمس وعشرين وألف)، وترجم نفسه في كتابه «نظام العلماء الى خاتم الأنبياء» في الفصل التاسع والعشرين، فقال:

هذا العبد الفقير الى ربه الباري «حسن بن طورخان بن داوود بن يعقوب الذيبي الأقحصارى، القاضي بأقحصار عفا عنه وعنهم الملك الغفّار.. أخذت في تحصيل العلم وأنا ابن اثنتي عشرة سنة،.. وأخذت من المشايخ والعلماء، واشتغلت عند كثير من الفضلاء».

.. ثم يورد الكاتب عشرين مؤلفا لهذا العالم، نذكر بعضها:

١ ـ «شرح مختصر القدورى».

٢ ـ «سمت الوصول الى علم الأصول»، ذكره صاحب كشف الظنون..

٣ ـ «روضات الجنّات في أصول الاعتقادات»

٤ ـ «مختصر الكافي في علم المنطق».

٥ ـ «تمحيص التلخيص، في المعاني والبيان والبديع»، نقّح فيه تلخيص الخطيب القزويني.

٦ ـ «نور اليقين في أصول الدين»وهو شرح عقيدة الطحاوى..

.. هذه قطرة من بحر فضائله، وذرّة من يمّ مناقبه ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ.

صفوت بك إبن ابراهيم أدهم باشا آغا زاده:

المتخلّص الملقّب بـ «ميراز»أصله من بلدة «نوسين» من بلاد «الهرسك»، من عائلة شريفة، اما هو فله طبيعة شعرية، وأشعار باللغة البوسنوية لطيفة،وله شيء من الشعر باللغة الفارسية.

أشعاره البوسنوية فهي مجموعة في دواوين طبعت، يتداولها المسلمون في تلك البلاد،.. وله قدم راسخة في احياء ذكرى مشاهير البوسنويين من

العلماء والشعراء، - وهو أول من اعتنى بذلك حق الاعتناء - فألّف كتابا في «تاريخ علماء بوسنة وشعرائها».. وله «تاريخ صغير لبلاد بوسنة وهرسك» من فتح الاتراك الى دخول «اوستريا».. وله كتب أخرى[٧٤].

ومن الذين كتبوا باللغة العربية من مسلمي يوغسلافيا، شاعر ألباني هو:

«حاج عمر لطفي بشاريزي»:

ان تأثير الشعر العربي - خاصة - لدى طائفة من الشعراء الألبانيين، الذين عملوا على استلهام وتقليد الشعر العربي، قلبا وقالبا، ومن هؤلاء الحاج عمر...

... ولد عمر لطفي عام «١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م» في مدينة «بريزرن[٧٥].» في اقليم كوسوفا وكان جدّه، إمام مسجد، وأبوه - أيضا - كان إماما لأحد المساجد، لفترة خمسين عاما.

درس «عمر» في بريزرن، المرحلة الابتدائية والرشيدية، وكان طموحا، فتابع دراسته في مدرسة «محمد الفاتح» الشهيرة، باستنبول.

وعاش، عمر لطفي، أحداث إسقاط السلطان «عبد الحميد الثاني»، وإسقاط: الخلافة الاسلامية، فانعكس الشيء الكثير على شخصيته، وتأثر بالصوفية، مما انعكس على اشعاره التي كتبها بالعربية والتركية والفارسية، ومما قاله:

لقد سألني بعض اخواني عن التصوّف، فأجبته بهذه الأبيات:

---

(٧٤) انظر: سراى بوسنة/ دورية توزّع نصرةًلشعب البوسنة، المكتب الاعلامي للبوسنة والهرسك عن اللجنة الشعبية الاردنية، العدد ٤رجب ١٤١٣هـ وكانون الثاني ١٩٩٣م (ص٣).

(٧٥) بريزرن: العاصمة القديمة لاقليم كوسوفا ذو الحكم الذاتي ويتبع الآن صربيا.

ليس التصوف بـــالقيـــل والقـــال

ان التصوّف مخصوص بـــأحـــوال

وهـــو العبـــوديـــة للـــه خـــالصة

وهـو التطهيـر عـن سفـاسف الأفعـال

وهـو التـزيّـن بـالأخـلاق أحسنهـا

وهـو المسارعـة (بـأحسن) الأعمـال

وبعد عودة عمر لطفي الى بريزرن، اختير شيخا للطريقة «الملامية» الصوفية وبقي حتى توفي عام «١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م[٧٦]».

حسن كَلَشي:

وهو من الذين كان لهم اهتمام كبير باللغة العربية.

ولد المرحوم «حسن كلشي» في «٧ آذار ١٩٢٢ م» و (٨ رجب ١٣٤٠ هـ)، في قرية «سربيتا» في مقدونيا الغربية، في أقصى جنوب يوغسلافيا. ـ حيث يتمركز المسلمون بغالبية ألبانية ـ ... يقول حسن كلشي في أحد كتبه، أنه تعلم العربية منذ أن كان في السادسة من عمره، على يد والده، ولهذا، فضل في «تعلقه بالعالم العربي وحضارته»، انهى دراسته الابتدائية في مدينة «سكوبيا» بمدرسة «الملك الكسندر» وبعد انهيار يوغسلافيا خلال الحرب العالمية الثانية ربيع الآخر ١٣٦٠ هـ «نيسان ١٩٤١»، ومنع المرحوم من إكمال دروسه.. فانتقل الى مدينة «بريشتينا[٧٧]»، وتخرج من مدرستها الثانوية سنة «١٩٤٤» م (١٣٦٣ هـ).

---

(٧٦) انظر: مجلة العربي، العدد ٢٤٢ (ص١٣٥ ـ ١٣٩)

(٧٧) بريشتينا: عاصمة اقليم كوسوفا الآن

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، اتجه حسن كلشي الى بلغراد، ودرس في فرع الاستشراق الوحيد في يوغسلافيا، وتخرج بتفوّق بتعلّم اللغات الأجنبية، وكانت أطروحته للدكتوراه: «أقدم الوثائق الوقفية باللغة العربية في يوغسلافيا».. وترجم كثيرا من القصائد العربية، الى اللغات اليوغسلافية،... وخلال الستينات، أنجز مع الاستاذ «كامل البوهي» أول قاموس صربوكرواتي - عربي،،،... كان حسن كلشي يتقن أكثر من عشر لغات - من بينها العربية ... ونشر خلال ربع قرن أكثر من مائتي عمل علمي في عدة لغات.. وهو الذي رعى فرع الاستشراق في «بريشتنا» ١٣٦٣هـ ١٩٧٣ م وهو الفرع الثالث في يوغسلافيا - سابقا - بعد بلغراد وسراجيفو، توفي «١٩ تموز ١٩٧٦م» و (٢١ رجب ١٣٩٦ هـ)[٧٨].

أقدم الوثائق الوقفية المكتوبة باللغة العربية في يوغسلافيا السابقة

عرفنا أن اللغة العربية، ضربت جذورها في أكثر البلاد التي ارتفعت فيها راية الاسلام، حتى أنها لعبت دورا هاما على الصعيد الرسمي، فكانت اللغة الرسمية، كما كانت لغة الأدباء والشعراء والدارسين - وان تكن أقل اهتماما بين افراد الشعب - .

«... قامت الأوقاف بدور شديد الأهمية في الحركة الاسلامية في البلقان، وفي انتشار الثقافة العربية والاسلامية فيه..».

وعند دراسة الوضع الاجتماعي لشعب ما، من الشعوب الاسلامية - خاصة - لابد ان تساعدنا في ذلك، دراسة الأوقاف التي أوقفها أصحابها، وهذه

---

(٧٨) انظر: الوجه الآخر للاتحاد والترقي / تأليف: المرحوم حسن كلشي، ترجمة : د. محمد موفق الأرناؤوط، قدسية للنشر والتوزيع، اربد، الأردن ١٩٩٠ م (ص٨ - ١٢)

الوقفيات تكشف النقاب عن مواقع هذه الأوقاف، وعن مؤسسيها، وعن المشاريع التي تُركت كأوقاف... فإذا اطلعنا عليها، نصل الى معارف عدة، حول التاريخ الاقتصادي، وتاريخ التوطين... وحول انتشار الدين الاسلامي، كما نصل الى المعرفة الحقيقية في تشكيل المجتمع (العثماني) والاسلامي،... والظروف الاقتصادية للطوائف الاجتماعية المختلفة.. واستقرار الناس وتطور النصوص التعليمية المختلفة، التي استعملت على مرّ العصور. وهذه الأمور هي التي حفزّت المرحوم حسن كَلَشي لدراسة وثائق الأوقاف التي هي أقدم،والمكتوبة بالعربية، والمدوّنة بين «١٤٣٤ ـ ١٥٨٦ م» و(٨٣٧ ـ ٩٩٤ هـ).

بدأ الاهتمام بالعربية ودراستها في البلقان، مع بداية انتشار الاسلام.. وحتى نهاية القرن التاسع عشر، وجدت أكثر من مائتي مدرسة داخل الأقاليم اليوغسلافية السابقة.. وقد وجد أن الملاحظات العربية التي تكون في مقدمة الكتب، وتوثيق ... الكتابات ذات الطابع الديني الحقوقي (الوثائق) والمحفوظة في سجلات القضاة.. و(أيضا) عقود الزواج، وتحديد النفقات والتفويض... وعقود البيع والشراء... وشهادة الدراسة... وغيرها[٧٩].

... من هذا العرض التاريخي الوثائقي، يقول المتشرق «حسن كَلَشي»: «ان اللغة العربية والثقافة والحضارة العربية الاسلامية، لهما ـ بشكل لايقبل الشك ـ جذور عميقة بين ظهرانينا، وماتزال تُحسّ الى اليوم[٨٠].».

---

(٧٩) لزيادة المعرفة عن الوقفيات الاسلامية انظر: العربي، العدد (٢١٠)، (ص١٤٤ ـ ١٤٨)

(٨٠) انظر: المصدر السابق نفسه.

ادارة الأوقاف الاسلامية في يوغسلافيا - السابقة - :

(كانت ادارة الأوقاف والاشراف عليها في المناطق التي كان وما يزال يعيش فيها المسلمون في يوغسلافيا السابقة، منذ انشاء هذه الأوقاف الى أيامنا هذه، مختلفة تبعاً لاختلاف الحكام.

فأديرت الأوقاف خلال الحكم العثماني الى منتصف القرن التاسع عشر حسب أحكام الشريعة الاسلامية كما كانت العادة في بداية الاسلام.

تمّ اصدار أول قانون لادارة الأوقاف عام ١٨٥٩م (١٢٧٥هـ)، كما تمّ اكمال هذا القانون باللائحة سنة ١٨٦٦م (١٢٨٣هـ)، وظل هذا القانون ساري المفعول حتى الاحتلال النمساوي الهنغاري سنة ١٨٧٨م (١٢٩٦هـ)، وفي تلك السنة وضع نظام آخر لادارة الأوقاف. والفترة التي استمرت الى سنة ١٩٠٩م (١٣٢٧هـ) وتم فيها توقيع القانون عن الحكم الذاتي والذي بقي ساري المفعول الى سنة ١٩٣٠م (١٣٤٩هـ) حيث صدر القانون عن الطائفة الاسلامية ودستورها، ثم قانون الطائفة الاسلامية لسنة ١٩٣٦م (١٣٥٥هـ).[٨١]..

وقفية رمضانية مهمة:

تحتفظ مجموعة الاستشراق في مجمع العلوم والفنون اليوغسلافي في زغرب - عاصمة كرواتيا - بوقفية هامة،.. وهي ورقة التقويم الخاصة التي يتبين ذلك من حجمها ومن الحواشي الحسابية المكتوبة على ظهرها.

الوقفيات الخاصة نادرة جداً، ولم يعثر على شيء منها - حتى الآن - في

---

(٨١) انظر: البلاغ (غلاسنيك glasnik) مجلة الطائفة الاسلامية/ سراييفو، العدد (٣) أيار وحزيران ١٩٩١م، (ص٢٨١).

المجموعات التي تحتوي على المخطوطات باللغات الشرقية.

للوقفية (المذكورة) اربع قوائم، وتحتوي على أسماء الأيام وعددها الترتيبي والساعة.. والسنة..

اسم صاحب الوقف	السنة الهجرية	السنة الميلادية والشهر
صدقي بوسناوى	١١٩٢هـ	١٧٧٨م.
أمين بن عمر	١٢٠٩هـ	١٧٩٤م/٥
عثمان	١٢١١هـ	١٧٩٦م/٧
علي	١٢٢٥هـ	١٨١٠م/١١
محمد عاكف بوسناوى ساري	١٢٢٨هـ	١٨١٣م/٤

٨٢

صفوت بك بن إبراهيم أدهم باشا أفازاده

(٨٢) المصدر السابق (ص٣١٨ ـ ٣١٩)

مسلمو يوغسلافيا وألبانيا والأبجدية العربية

يتميّز الاسلام بدور كبير في انتشار اللغة العربية، فحيث ارتفعت راية الاسلام، كان الاقبال على اللغة العربية، اقبالا عظيماً إذ هي لغة القرآن الكريم، فكان انتشار اللغة العربية مع انتشار الاسلام في قارات: آسيا، وافريقيا، ثم أوروبا وبالتحديد، في الأندلس.

وفي بداية العصر الحديث، حيث انتشر الاسلام ـ بفضل العثمانيين، لدى عدة شعوب، في أوروبا الشرقية، وبخاصة في شبه جزيرة البلقان، حيث انتشرت الحروف العربية في دائرة واسعة، في اليونان، وألبانيا، وبلغاريا، والبوسنة والهرسك وبولونيا، وروسيا البيضاء.

وأوسع انتشار للحروف العربية بين هذه الشعوب، كانت لدى الألبانيين، والبوسنويين ـ هذا بالاضافة، الى أن الدولة العثمانية، قد اعتمدت الحروف العربية في كتابة لغتها التركية ـ لقد استمرت الحروف العربية في ألبانيا والبوسنة، على الرغم من الظروف الصعبة التي مرتّ بها ـ الى مابعد منتصف القرن العشرين ـ الحالي ـ حيث طُبع آخر كتاب باللغة البوسنوية بالحروف العربية سنة ١٣٦٠هـ «١٩٤١م»، بينما صدر آخر كتاب باللغة الألبانية، بالحروف العربية سنة ١٣٩٠هـ «١٩٧٠ م».

... ومن المؤسف أن الكتابة بالحروف العربية، قد أُهملت نهائياً في ألبانيا ويوغسلافيا، مما أدى الى نتائج وخيمة لحقت بمصادر الأدب الألباني والبوسنوي، وضياع الكثير من المخطوطات في الحروف العربية... وأهتم

كثير من الباحثين والدارسين في التراث الذي صدر في يوغسلافيا، باللغة البوسنوية، بحروف عربية وبالأبجدية الصربوكرواتية....[٨٣].

.... وفي مطلع الأربعينيات، عايشت الابجدية العربية في يوغسلافيا، تراجعاً كبيراً نظراً للتغيرات التي طرأت على المنطقة، وخاصة بعد الاحتلال الألماني ليوغسلافيا وتقسيم البلاد على أساس قومي، مما أدى ذلك الى الحاق الألبانيين في كوسوفا ومقدونيا اليوغسلافيتين، الى البانيا... التي تبنّت الكتابة بالأبجدية اللاتينية.

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية، أعيد الألبانيون في كوسوفا ومقدونيا الى يوغسلافيا الحديثة ـ سابقاً ـ التي تشكلت خارطتها من جديد وضمت كوسوفا ومقدونيا...

استمرت الكتابة بالحروف اللاتينية باللغة الألبانية، كما استمرت ـ أيضاً ـ الكتابة باللغة الألبانية بالحروف العربية، حتى تراجعت الأبجدية العربية باقفال المدارس الدينية في بداية العهد اليوغسلافي (بعد الحرب العالمية الثانية)، الذي أبقى على مدرسة واحدة لدى الالبانيين، وهي «مدرسة علاء الدين»، ومع ذلك استمرت الكتابة بالحروف العربية لعدة سنوات اخرى، الى أن تلاشى الجيل الأخير من الشعراء، الذين كانوا قد تمرسّوا على الكتابة بالأبجدية العربية، وبقي شاعر واحد يعيش أيامه الاخيرة هو : «الشيخ فيصل Sheh Vesel» الذي ستؤدي وفاته الى اغلاق الصفحة الأخيرة في تراث الكتابة الألبانية بالابجدية العربية لدى الألبانيين في يوغسلافيا ـ السابقة ـ[٨٤].

---

(٨٣) انظر: الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية، عالم المعرفة، العدد ٦٨، د. محمد موفاكو ـ الكويت ١٩٨٣ م (ص٥ ـ ٨)

(٨٤) المصدر السابق (ص٨٠)

... تميّز العهد اليوغسلافي من عام ١٣٦٧ الى ١٣٨٦هـ «١٩٤٨ الى ١٩٦٦ م» بسياسة متشدّدة أو ما سمي سياسة «القبضة الحديدية»، تجاه الألبانيين خاصة والمسلمين عامة في يوغسلافيا، مما أدى الى هجرة واسعة للمسلمين باتجاه تركيا... وعمد النظام اليوغسلافي الى اغلاق الكتاتيب والمدارس الدينية في الجنوب ، وسمح - فيما بعد - بافتتاح مدرسة دينية واحدة، لكل مسلمي الجنوب، الذين يفوق عددهم المليونين، وتلاشى استعمال الابجدية العربية في الأدب الألباني في يوغسلافيا[٨٥].

أدباء مسلمون من يوغسلافيا - السابقة -

ان من المسلمين اليوغسلاف، من نبغ في الكتابة والتأليف، ولكن بلغتهم الأم - الصربو كرواتية - أو كما كانت تسمى «اللغة البوسنوية»، وكانت مؤلفاتهم تعبيراً عن حياتهم، بأسلوب بسيط، وبحروف عربية، وكان هناك شعراء ينظمون شعرهم - على نظام العروض العربي - بأغراض مختلفة : أخلاقية، وانسانية، ودينية، ووطنية... وسمي هذا الأدب «الأدب الأعجمي»، وأول الأدباء المسلمين الذين أظهروا هذا الأدب وعرّفه للناس، هو الأديب «محمد بك قبطانو فيتش» من البوسنة..

محمد بك قبطانوفيتش لوباشاك :

... أديب مسلم، صدر له كتاب في عام «١٨٨٣ م و(١٣٠٠ هـ) بعنوان «رسالة الأخلاق» وهو درس في المسلك الجميل والمسلك القبيح، ويشرح هدفه ومضمونه قائلاً : «أن الأمور التي يتم بها تمييز الانسان عن الحيوان، هي المعرفة، والعقل، والفكر، ونُطق الكلام، وكذلك قدرات التمييز بين الطباع الجميلة والطباع القبيحة...».

---

(٨٥) المصدر نفسه (ص١٧٠ - ١٧٢)

وكتاب آخر أصدره بعنوان «الثورة الشعبية» في عام «١٨٨٧ م» (١٣٠٤ هـ)، وهو يشتمل على مختارات من الأمثال الشعبية التي وجد فيها ـ المؤلف ـ الأفكار الموجزة التي ألفها الشعب، والأفكار التي يمكن أن توجّه الانسان والأجيال في كل مناحي الحياة. ويشرح المؤلف هدفه فيقول :«اذا ما فعل الجميع، وتصرفوا حسب ماتعلمنا أمثالنا، وتوجهنا فمما لاشك فيه، أن كل شيء سيكون جميلاً وطيباً».

عثمان ـ عزيز :

هما ثنائي أدبي من مدينة «موستار» واسمهما الحقيقي: «عثمان نوري هاجيتش» «١٨٦٩ ـ ١٩٣٧ م» و «ايفان عزيز ميليتشيفتش»، «١٨٦٨ ـ ١٩٥٠ م»، وتعاونهما في الابداع الأدبي واتفاقهما الفكري، ورابطة القلم بينهما، تمثّل نموذجاً فريداً في الأدب اليوغسلافي.. وهذان الشخصان النبيلان .. أخضعا نفسيهما لهذا الاسم المستعار «عثمان ـ عزيز». وقد ظل اسمهما مسجلاً في الأدب بحروف من ذهب، بسبب اصدارهما لأول رواية في البوسنة والهرسك في عام «١٨٩٥م» (١٣١٣ هـ).. وتصوّر روايتهما ، مدينة «موستار» وأهلها في وقت خطير.

... وعثمان نوري يجيد ا للغة العربية، وله كثير من الترجمات، من العربية، وأهمها «محمّد عليه الصلاة والسلام»، تأليف أبو الفدا، وصدر في سراجيفو عام «١٩٠٣م» (١٣٢١ هـ) واشترك في ترجمة قصص «ألف ليلة وليلة». ومن كتبه الدينية المشهورة «الإسلام والثقافة»، زغرب «١٨٩٤ م» (١٣١٢ هـ)، وكتاب «محمد والقرآن» الذي طبع مرتين، في ١٩٣١ و ١٩٦٨ م (١٣٥٠ و ١٣٨٨ هـ).

أما ايفان عزيز: فقد درس الحقوق في جامعة «فيينا»، وكان محرراً ومؤسساً لبعض المجلات القانونية في زغرب، وقد اشترك مع عثمان في اصدار روايتين ومجموعة قصصية عن الحياة في البوسنة والهرسك عام

«١٨٩٨ م» (١٣١٦ هـ)، يستعرض المؤلفان معظم المشاكل التي كانت تجابه المسلمين في تلك المنطقة - آنذاك - ويستعرضان حلولاً لمشاكل مجتمعهما، ومنها : التطبيق السليم للاسلام - ذلك لأن المسلمين في ذلك الوقت، كانوا يجهلون أسس ومضمون الاسلام، ولايعرفون أخلاق الاسلام وفضائله.

... ويوضّح المؤلفان، قضية الاسلام والقومية، «بأن الاسلام لايمنع أحداً من التمسكّ بقوميته، أي أن يكون مسلماً، فرنسياً أو ألمانياً، أو سويدياً، حسب ماضيه ولغته وذلك لأن الاسلام ليس محصوراً أو ديناً ضيقاً»، كما يتعرض الكاتبان كثيراً للحديث، عن العرب وعن لغتهم ودينهم وثقافتهم وحضارتهم.. من منطق الدفاع عن الاسلام ضد كل مدسوس عليه من الجهّال، والمتاجرين به... ويعترفان - في معرض المقارنة بين الآداب الأجنبية والأدب العربي - بأن كل هذه المعارف، مأخوذة عن العرب.

أدهم مولى عبد يتش :

«١٨٦٤ - ١٩٥٤ م - ١٢٨١ - ١٣٧٣ هـ»

وهذا أديب آخر من مسلمي البوسنة، ولد ببلدة «ماجلاي» بمنطقة البوسنة، التحق في مسقط رأسه بالكتّاب، ثم بالمدرسة الرشدية، وبعد ذلك أنهى دراسته بمدرسة المعلمين، واجتهد في تعلّم اللغتين التركية والعربية. وفي سراجيفو، مارس مختلف الأعمال، في مجال التدريس والتفتيش.

وفي عام «١٨٩١ م» و(١٣٠٨ هـ)، اشترك في تحرير الصحيفة السياسية للمسلمين «البوسنوي» التي أسسها، محمد بك قبطا نوفيتش لوباشاك. وكان يحرر عديداً من الصحف والمجلات، ثم أصدر مع زملائه، من أدباء المسلمين في البوسنة والهرسك، مجلة «الكأس» بيهار - وهي أول مجلة أدبية للمسلمين . كما ساهم في أعمال ثقافية متنوعة..

كتب أدهم، الرواية والقصة، والمقالة وبعض النصوص ا لمسرحية،...

وكان اول كاتب من المسلمين، يكتب أدب الرحلات في صحيفة البوسنوي، عام ١٣١١هـ ١٨٩٣ م، ومن أشهر مؤلفاته: «قصص فكاهية» عام ١٣١١هـ ١٨٩٣ م، ورواية «الدغل الأخضر» ١٣١٦هـ ١٨٩٨ م، ومجموعة قصصية، بعنوان: «على شاطىء البوسنة» ١٣١٨هـ (١٩٠٠م)... وغيرها، كان أدهم مولى عبديتش يهدف بأعماله الأدبية، أن يقدم للمسلمين توجيهات، فيما يتعلق بالحياة، بالأحداث خلال العهد النمساوي-الهنغاري الجديد في البوسنة، حيث... تغيّر الناس وأسلوب الحياة والنظرة للمستقبل[٨٦].

الحاج ابـراهيـم حقي تشوكيتش :

ولد الحاج ابراهيم في «برتشكو» - البوسنية - سنة ١٨٧١ م (١٢٨٨ هـ). أنهى دراسته الابتدائية، والدراسة في المدرسة الاسلامية في برتشكو، والمدرسة الشرعية القضائية في سراجيفو سنة ١٨٩٧ م (١٣١٥ هـ). أما امتحان التدريس في اللغة العربية والأدب العربي، فقد أدّاه في جامعة فيينا سنة ١٩٠٤ م (١٣٢٢ هـ)، بعد ذلك، عمل مدرساً لمادة اللغة العربية، والدين الاسلامي، في المدرسة الثانوية العامة في «توزلا»، كما درّس اللغة العربية، والعقيدة الاسلامية، وعلم الكلام، بمدرسة «بهرام بك» الدينية في «توزلا».

كان الحاج ابراهيم، في الوقت نفسه، مؤسس وصاحب، ورئيس تحرير لمجلة: «حكمة» التي قام بانشائها عام ١٩٢٧ م، في توزلا، وقد اشترك في تحرير المجلة أخواه: عبد الرحمن عادل، وأحمد لطفي.. طبعت هذه المجلة بالحروف اللاتينية - وظلّت تصدر ست سنوات. توفي ابراهيم حقي سنة ١٩٤٨ م (١٣٦٧ هـ)، في توزلا.[٨٧]

---

(٨٦) انظر: الأدب اليوغسلافي المعاصر/ د. جمال الدين سيّد محمد، عالم المعرفة، الكويت، العدد ٨١/ ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م (ص٢٣٧ - ٢٤١)
للمعرفة أكثر عن أدهم عبديتش انظر: المصدر نفسه (ص٢٤١ - ٢٤٤)

(٨٧) انظر: مجلة البلاغ «غلاسنيك» اليوغسلافية، العدد ٥ تموز/آب ١٩٩١ م (ص٥٥٦ - ٥٥٧)

محمـد ميشا سليمـــو فتش:

١٩١٠ - ١٩٨٢ م - (١٣٢٨ - ١٤٠٢ هـ) :

ولد بمدينة «توزلا» في البوسنة، أنهى كلية الآداب بجامعة «بلغراد»، واشترك في حرب التحرير الشعبية اليوغسلافية، وساهم في نشاط لجنة تحديد جرائم المحتل في بلغراد، ومنذ عام ١٩٤٦ م (١٣٦٥ هـ)، وهو يعيش ويعمل في سراجيفو، كمدرس بمدرسة التربية العليا، ثم مدرسا بكلية الآداب بسراجيفو، وعمل كمدير للشركة السينمائية ومديراً للمسرح القومي ورئيساً لدارالنشر..بسراجيفو، ثم أنتقل إلى بلغراد حيث عاش، وتوفي فيها.

...«كانت السنوات الأربع التي قضاها «سليموفيتش» في حرب التحرير الشعبية، هي بمثابة الإعداد الخلقي المكثّف لنشاطه الأدبي بعد الاستقلال»..

... أنشا أول مجلة أدبية باسم «برازدا»، وأخذ ينشر قصصه الأولى عن حرب التحرير والثورة، واختار سبيله في الكتابة عن البوسنة، ومن مؤلفاته القصصية المشهورة : «الرجل المستاء»، «الكتيبةالأولى»، «الضباب وضوء القمر»، «الفتاة ذات الشعر الأحمر»، ومن رواياته: «السكون»، «الأرض الأجنبية»، «الدرويش والموت»، «القلعة»، «والجزيرة». وامتدت كتاباته من عام «١٩٤٧ الى ١٩٧٦ م»و (١٣٦٦ - ١٣٩٦ هـ).

وقد حصلت روايته «الدرويش والموت»، على أرفع الجوائز اليوغسلافية.. قال عنها بعض النقاد :

«أنها رواية اسلامية، بسبب بيئتها الاسلامية الخالصة، وأفكارها الشرقية، وبسبب العديد من المعاني القرآنية الواضحة، التي يشتمل عليها الحوار..

وقد حصل الأدب اليوغسلافي بهذه الرواية على كتاب فريد... ويركز سليموفتش في كتاباته على الجانب الأخلاقي في العالم والعصر، وهي صورة

قيمة لجميع العصور[٨٨].

سينـان حسّـاني :

ولد بمنطقة «كوسوفا» عام «١٩١١ م» (١٣٤٠ هـ) وأنهى دراسته بمدرسة العلوم السياسية العليا، وقد اشترك في حرب التحرير الشعبية... وبعد استقلال يوغسلافيا أصبح رئيساً للاتحاد الاشتراكي لاقليم كوسوفا، ثم نائباً لرئيس مجلس الشعب بجمهورية «صربيا»، وسفيراً لبلده ـ يوغسلافيا ـ في «الدانيمارك»، وظّل يتقلّد الوظائف السياسية، علاوة على اشتغاله بالأدب، وسينان حسّاني، أحد رواد الأدب الألباني، والثقافة الألبانية في يوغسلافيا، والأدب الألباني في يوغسلافيا، جزء لايتجزأ من الأدب ا ليوغسلافي... بدأ حساني العمل في مجال الأدب، بعد الاستقلال، وأول رواية له «الكْروم بدأ ينضج»، ثم رواية «ليلة كئيبة»، و«الرياح والبلّوط»، و«الغلام ذو الوسام» ، «أين ينقسم النهر»، أُخذت رواية الرياح والبلوط لفيلم سينمائي و ـ أيضاً ـ لمسلسل تلفزيوني، عرض عام ١٣٩٩هـ ١٩٧٩ م... تركّز موضوعات حسّاني على الأحداث الراهنة، في الماضي القريب وفي حاضر بلاده، تعدّ رواياته، دائرة معارف هائلة[٨٩].

---

(٨٨) الأدب اليوغسلافي المعاصر (ص٢٩٣ ـ ٢٩٨)

(٨٩) ـ المصدر نفسه (ص٣١٨ ـ ٣٢٠)

الأدب البوسنوي :

... بعض النقاد، يعتبرون أن الأدب البوسنوي، هو أدب هجين، وغير أصيل، لأنه كتب بأبجدية عربية ـ غريبة ـ ولكن الأبجدية اللاتينية ـ أيضاً ـ غريبة، وفي الواقع، أن مسألة الأبجدية، قد ارتبطت بشكل رقيق بالدين، فالسلاف الجنوبيون، وبالتحديد، الصربيون والكرواتيون، لم تكن لهم أبجدية خاصة بهم، حين قدومهم الى البلقان.. وفيما بعد توزعت اللغة الصربوكرواتية، الى عدة أبجديات، حسب الانقسام الديني، فالصربيون الأرثوذكس، أخذوا، وحافظوا الى الآن على أبجدية متطورة عن اليونانية، بينما تعصّب الكرواتيون الكاثوليك، للأبجدية اللاتينية مما دعا المسلمين ـ وهم خليط من الصربيين والكرواتيين (بالاضافة للبشناقيين) ـ الى الأخذ بالأبجدية العربية، لتمييز أنفسهم عن الآخرين، كمسلمين..

وقد برهن الأدب البوسنوي عن أصالته في الحروف العربية، وعن تنوّع موضوعاته وتنوع ـ أيضاً ـ مستواه الفني ـ إذ أنه ـ في نهاية الأمر ـ نتاج شعب، عبر عدة قرون[٩٠].

---

(٩٠) انظر: العربي الكويتية ، العدد ٢٩٩ (ص٤٨ ـ ٥٣)

عائشة استاذة اللغة العربية بكلية الدراسات الشرقية فى بلغراد ، وهى مسلمة وزوجها استاذ يوغوسلافى ايضا ومسلم ..

أن القرآن الكريم، كان أكثر الكتب قراءة بين مسلمي البوسنة

الاستعراب في يوغسلافيا

..في مقر اتحاد الكتاب العرب بدمشق[٩١] تحدث رئيس الوفد اليوغسلافي «الدكتور سليمان غروزانيتش[٩٢].»، عن العلاقات التاريخية بين سورية ويوغسلافيا .. وقال: لقد تعلم اليوغسلاف اللغة العربية، وأصبحوا كتّابا وشعراء، ومفكّرين، ومفسّرين، وشارحين، كما اهتموا بالتاريخ العربي.

صحيح أننا أهتممنا بجميع الثقافات العالمية، ولكن اهتمامنا كان أكثر تركيزا على الأدب العربي، والتاريخ العربي ـ قديما وحديثا ـ، لأن العلاقات ـ اليوغسلافية العربية ـ تطورت بشكل ملحوظ، خلال السنوات الثلاثين الأخيرة، على جميع المستويات.

في يوغسلافيا.. أربعة مراكز للاستشراق، ثلاثة منها للغات الشرقية، وتأتي العربية في الطليعة، وبعدها التركية والفارسية. أول مركز تأسس في بلغراد عام ١٩٢٥م (١٣٤٤هـ)، أما مركز سراجيفو، فقد تأسس عام ١٩٥٠م (١٣٦٩هـ)، وبعده مركز «بريشتينا» في كوسوفا، الذي تأسس

---

(٩١) بدعوة من اتحاد الكتاب العرب، ووزارة الثقافة السورية، تم هذا اللقاء في مقر اتحاد الكتاب العرب بدمشق يوم «١٣ شباط ١٩٨٥م» (جمادى الأولى ١٤٠٥هـ) وكان الوفد اليوغسلافي يتالف من أربعة مستعربين.

(٩٢) سليمان غروزانيتش: استاذ في معهد الاستشراق بجامعة سراجيفو، نال الدكتوراه من جامعة القاهرة.

عام ١٩٧٥م (١٣٩٥هـ)، يتراوح عدد الطلاب الذين يتعلمون اللغة العربية في هذه المراكزالثلاثة، خمسمائة طالب ٩٠٪ منهم، يدرسون اللغة العربية، و١٠٪ يدرسون التركية والفارسية.. ويقدم في كل سنة عدد من أطروحات الماجستير والدكتوراه، في ميدان الاستعراب[٩٣]..

ترجمة التراث العربي :

ويتابع رئيس الوفد اليوغسلافي فيقول :

«وفي مجال الترجمة من اللغة العربية الى اللغة اليوغسلافية، فقد ترجمنا قبل ثلاثين عاماً، كتاب «يوميات نائب في الأرياف» لتوفيق الحكيم، وروايات أخرى لمحمد ديب، وكاتب ياسين، وبعض قصص محمود تيمور، وغيرها...»

وتحدّث الدكتور «رادي بوجوفيتش[٩٤]». فقال : «صحيح أن الاستشراق بدأ في يوغسلافيا منذ ستين عاماً، ولكنه وجد بالفعل قبل هذا التاريخ، لأن ربع السكان في يوغسلافيا، من المسلمين، ولهم ثقافتهم الخاصة، التي أصبحت اليوم تراثاً مشتركاً بين جميع القوميات التي ـ كانت ـ تتشكل منها يوغسلافيا، بغض النظر عن اختلافنا في بعض الأمور الثقافية... ولاتستغربوا إذا قلت لكم، ان قسم اللغة الانكليزية عندنا، تأسس بعد عشر سنوات من تأسيس أول معهد للاستشراق، ومع أن الاستشراق بدأ رسمياً، قبل ستين عاماً، إلا أنه لم يكن بارزاً لقلة عدد المستشرقين، ولكنه برز فجأة على خشبة المسرح العالمي بشكل واضح، ظهور العرب والانفتاح الواسع من يوغسلافيا على العالم العربي... فزاد اقبال الطلاب على الاستشراق بمعدل ٤٠ ـ ٦٠

---

(٩٣) لزيادة المعرفة عن هذا الموضوع انظر: /مجلة الآداب الأجنبية / اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد ٤٣ و٤٤ السنة ١٢ ، (ص٤٣٥ ـ ٤٤٠)

(٩٤) رادي بوجوفيتش: نال الدكتوراه من جامعة بغداد باطروحته حول «البطل العربي القديم في الملاحم اليوغسلافية الشعبية» وترجم ديواناً «للبياتي» وغيره

طالباً في كل جامعة من جامعاتنا، وتبع ذلك اقبال على الترجمة، من العربية الى اليوغسلافية حتى لاتكاد تخلو صحيفة، أو مجلة يوغسلافية من هذه الترجمات.. وظهر في السبعينات، «ديوان الشعر العربي»... من الجاهلية الى العصر الحديث..

وفي الثمانينات، ظهرت دواوين جديدة... تتناول الشعر العربي في مختلف أقطار العالم العربي... وكل ذلك بفضل دار نشر صغيرة مجتهدة في جمهورية صربيا، أخذت على عاتقها مهمة نشر الآداب في دول العالم الثالث... وإن دل هذا النشاط على شيء فإنما يدل على احترام اليوغسلاف، للشعر العربي، الذي عُرف قديماً، بأنه «ديوان العرب».

المخطوطات العربية:

وتحدث د. سليمان غروزا نيتش عن المخطوطات العربية في يوغسلافيا فقال: «أن في سراجيفو حوالي (٢٠/٠٠٠) مخطوط، يضم معهد الاستشراق منها حوالي سبعة آلاف وفي مكتبة غازي خسرو بك حوالي (١٢/٠٠٠) مخطوط، ويقدر عدد المخطوطات في كل من: زغرب ودوبرفنيك، بثلاثة آلف مخطوط، من أصل ثمانية آلاف..

والمخطوطات في يوغسلافيا نوعان: الأول قديم، أتى به أبناء يوغسلافيا، الذين قصدوا البلاد العربية، للدراسة خلال القرن الحادي عشر الميلادي، والثاني عبارة عن شروح وتفاسير، تعتمد على الكتب الأم، وهي في: الفلسفة، والحديث والتاريخ. وحتى الآن لم تفهرس هذه المخطوطات بشكل جيد، لأنها تحتاج الى الوصف والتعليق، لمعرفة تاريخ كتابتها، ومكانه، والمضمون الذي تدور حوله[٩٥].

---

(٩٥) الآداب الأجنبية (ص ٤٣٥ ـ ٤٤٠)

ترجمة معاني القرآن الكريم

انتشرت ترجمات وشروح القرآن الكريم، منذ قرون عديدة، في مناطق اسلامية مختلفة وفي لغات العالم الاسلامي الكثيرة، وهذا دليل على اهتمام المسلمين بخدمة القرآن الكريم الذي يحمل شرع الله لهداية البشر..

.. وقد بلغت الترجمات لأكثر من خمس وستين لغة، في لغات آسيا، وافريقيا، وأوروبا، ومنها ـ اليوغسلافية[٩٦].

.... كانت الترجمة الأولى في يوغسلافيا، قام بها سنة «١٨٧٥ م»، «ميتشالوبيبرا يتش[٩٧].»، الذي أثار الشغب ضد العثمانيين ـ وهو غير مسلم ـ وكان هدف المترجم سياسياً خالصاً، أولاً ـ والدافع الثاني، فهو ديني:

فالدافع السياسي، ليوحّد الشعب، ضد العدو المشترك، وليوحّد المسلمين من القومية الصربية وتهدئتهم..

أما الدافع الديني، والذي ساهم بتعريف السكان المسلمين، بقرآنهم ، قام بها مسلمون، منهم: سليمان كمورا، وابراهيم أشيرو فتش، وحسين جوزو، كما أصدرت المشيخة الاسلامية العليا، ثلاثة كتيبات من «ترجمة القرآن مع التفسير»...

أن ترجمة القرآن الكريم ـ لأول مرة في يوغسلافيا ـ على يد رجل مسيحي ـ كانت مفاجأة كبيرة، وخاصة للعلماء في البوسنة والهرسك، وقد قوبلت هذه الترجمة بنقد مرّ من العلماء، إذ أن «ترجمة القرآن الكريم الى لغة الكافرين»

---

(٩٦) للتوسع أكثر في موضوع ترجمات القرآن انظر: البيبليوغرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم (الترجمات المطبوعة ١٥١٥ ـ ١٩٨٠ م) اعداد : بينارق وأرن استانبول «١٤٠٦ هـ ١٩٨٠ م» مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية استنبول (ص١٧ ـ ٢٦)

(٩٧) لوبيبرايش: كان من زعماء الانتفاضة في الهرسك ١٨٧٥ م، مات ١٨٨٩ م

كانت تبدو كحديث مثير، وقد نشرت مجلة «حكمت» كل هذه الانتقادات، حيث كان يسود الرأي بأن القرآن، لايمكن ترجمته الى أية لغة، بل يجب على الجيل أن يتعلم العربية لكي يفهم مافي القرآن الكريم.... لأن ترجمة القرآن، في حدّ ذاتها، ذنب عظيم، هذا ماكان يعتقده العلماء، والمحافظون، ولم يقتصر هذا الفهم الخاطيء على يوغسلافيا[٩٨].

لقد جاء أول رد سليم على هذا الفهم الخاطيء «١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م»، حين حطّم مدير مجلة الأزهر «محمد فريد وجدي» كل تلك النظريات، حول استحالة ترجمة القرآن، وذلك بالاستناد الى القرآن ذاته في قوله تعالى:

«أنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون».

صدق الله العظيم (البقرة، آية ١٧٤).

وأصبحت الترجمة في عصرنا، أمر لابد منه، ولايمكن تأجيله، لأن الناس اليوم تبحث عن الينبوع الأصلي[٩٩]..

ففي عام «١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م» ظهرت ترجمة جديدة، لاثنين من علماء البوسنة والهرسك هما: «محمد بانجا وجمال الدين تشاوشيفيتش» وقد صدرت هذه الترجمة في سراجيفو تحت عنوان «القرآن الكريم، ترجمة وتفسير»..

وكان للمترجمين - غير حرصهما على إيصال المعاني القرآنية - أهداف

---

(٩٨) لزيادة المعرفة عن هذا الموضوع انظر: التراث العربي/ مجلة فصلية، يصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العددان (٣٧ و ٣٨)، ١٩٨٩ - ١٩٩٠ م (ص١٨٠ - ١٩٠)

(٩٩) اتفق علماء المسلمين: ان ترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفية لاتجوز لعدم استطاعة اية لغة من التعبير عن الاعجاز البياني للقرآن الكريم،... أما ترجمة المعاني... فذلك أقره الكثير من علماء المسلمين، إذا حظي المترجم بثقة المسلمين

أخرى وهي : أن يبيّنا للعالم :«أننا نحن المسلمين، في هذا الجزء من أوروبا - وعلى الرغم من قلّة عددنا - نقدر ونرغب - أيضاً - أن نترجم ونفسّر المنبع السامي لديننا... ولا يمكن قياس روحيتنا، بعددنا الصغير، في هذا الركن من أوروبا [١٠٠].»

وقد صدرت ترجمة أخرى بعد عدة شهور، من الترجمة السابقة، وقد أصدرها الحاج «علي رضا كارابك[١٠١].»، وكانت الطبعة بخمسة آلاف نسخة[١٠٢].

ترجمات جديدة:

(لقد حصلتُ على ترجمة حديثة لمعاني القرآن الكريم باللغة الألبانية وقد طبع منها عشرة آلاف نسخة، وقام بالترجمة، السيدان: فتيح مهدي وبسيم كوركوت[١٠٣] بريشتينا ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

كما حصلتُ على ترجمة أخرى باللغة الصربوكرواتية.[١٠٤]... عام «١٤١٠

---

(١٠٠) المصدر السابق نفسه

(١٠١) علي رضا كارابك: «١٢٨٩ - ١٣٦٤ هـ و ١٨٧٢ - ١٩٤٤ م»، تخرج من المدرسة الشرعية. الا أنه لم يتوّل، أي عمل في المنظمات الدينية للمسلمين توفي بمدينة «موستار».

(١٠٢) التراث العربي (ص١٨٠ - ١٩٠)

(١٠٣) هذه الترجمة لمعاني القرآن بالألبانية، إلا أن أسماء السوَر طبعت بالعربية وكذلك البسملة وسورة الفاتحة - في أول الترجمة، ثم سوَر : الاخلاص، والفلق، والناس، باللغة العربية، والى جانبها شرح معانيها بالألبانية، طبعت هذه الترجمة في «برشتينا» عاصمة كوسوفا

(١٠٤) هذه الترجمة لمعاني القرآن الكريم، باللغة الصربوكرواتية، ترجمة: «بسيم كوركورت»، وقامت بطبعها «دار القلم» ، سراجيفو ١٩٨٩م واتبع المترجم الطريقة السابقة نفسها، من: كتابة رقم السورة واسمها العربي، ثم اسمها بالصربوكرواتية، و أيضاً - مدنية أم مكيّة، ومعانيها بالعربية، كما وردت بالقرآن الكريم.

هـ ١٩٨٩ م» ترجمها «بسيم كوركورت».

نعلم أن يوغسلافيا السابقة كانت تضم ست جمهوريات اتحادية يقطنها سكان من عدة قوميات وبالتالي تتكلم عدة لغات: السلوفينية والمقدونية والألبانية ثم الصربوكرواتية التي تتكلمها أربع جمهوريات هي صربيا وكرواتيا والجبل الأسود ثم البوسنة والهرسك،

غير أن صربيا تسميها «الصربوكرواتية، وكرواتيا تدعوها الكرواتية الصربية، وكان سكان البوسنة والهرسك يسمونها اللغة البوسنوية.. ولابد أن ننوه الى وجود الكلمات العربية في اللغة الصربوكرواتية. ومن الغريب أن الباحثين في يوغسلافيا كانوا يدرجون هذه الكلمات ضمن الكلمات التركية الموجودة بلغتهم هذه، ويتناسون أن العربية هي الأصل...

ويذكر لنا المستشرق اليوغسلافي «عبد الله شكاليتش» في قاموسه ٣٨٠٠ كلمة عربية من بين عدد كلمات قاموسة التي تصل الى ٦٥٠٠ كلمة. ومن هذا يتبين لنا أن أكثر من نصف هذه الكلمات الأجنبية كلمات عربية الأصل ومعظمها موجود حتى يومنا هذا[١٠٥]..

الفن العربي الاسلامي في يوغسلافيا

تشير الاحصائيات الحديثة الى أن كل سابع شخص يوغسلافي، يرتبط انحداره، وتربيته بالثقافة والحضارة الاسلاميتين، ويظهر هذا الارتباط،بأشكال أقلّها ذات طابع ديني وتتجلى أكثر في ملامح الوجه (الفيزيونوميا)، وتركيبة البنية التي يتصف بها كل شخص ينحدر من تلك الأصول.

---

(١٠٥) انظر: الأدب اليوغسلافي المعاصر (ص٢٣ ـ ٢٥).

فقد ارتبطت نشأة الثقافة والفنون الاسلاميةن في أقاليم البلاد اليوغسلافية، بمجيء الأتراك أبان الامبراطورية العثمانية التي حكمت بلاد البلقان أكثر من خمسة قرون خلت، وذلك منذ القرن الخامس عشر الميلادي..

وكانت البلاد الواقعة في شبه جزيرة البلقان، قد شهدت ثقافات شرقية وغربية متعاقبة أثرّت في عناصر ثقافاتها، حيث كانت هذه الأرض، مسرحاً للحروب بين أقوام وأمم مختلفة، تقاسمت دفّة الحكم عليها منذ القرون الأولى للتاريخ، إذ تطبعت هذه الشعوب، من تمازج الثقافات المختلفة، بعادات وتقاليد وفنون متعددة أثرّت في نمط عيشها.

ومن أهم تلك الثقافات، الثقافة البيزنطية التي انحصرت بالدين المسيحي، والتي مازالت آثارها في عديد من مناطق البلاد، ثم الحضارة العربية الاسلامية التي تجاوز تأثيرها حدود الدين، حيث وجد الفن الاسلامي آثاره في الكثير من مظاهر المدنية والعمران التي مازالت شاخصة في بعض المناطق اليوغسلافية.

هذا ولاننكر دور العثمانيين الوسيط في نقل عناصر الحضارة العربية الاسلامية عن الشعوب التي حكموها في زمن أمبراطوريتهم، إضافة الى العوامل الأخرى التي أسهمت في ربط الوشائج الثقافية بين العرب والشعوب السلافية الجنوبية القاطنة في شبه جزيرة البلقان والتي لعبت أدواراً مختلفة عبر القرون، وما زالت لمساتها واضحة في الآداب والفنون - بشكل خاص -

وبما أن الاسلام ، لم يكن منذ قرون عدّة عقيدة دينية فحسب، بل نمطاً لحياة ثقافية، وفنية، امتازت بخصائص معينة جعلت منه مدرسة بمستوى المدارس الفنية التي مازالت حاضرة في فن المعمار. فإن هذا الشيء الذي تطبعّت به هذه الشعوب الأوربية التي احتكّت بالاسلام، حيث أصبح هذا الفن جزءاً من موروثها الحضاري، ويأتي في المقدمة منها بناء الجوامع والمساجد، والتفنن في تشييد البيوت والقلاع، والجسور، والمدارس، والمكتبات وغيرها بالاضافة الى أن المسألة انطبعت على المصنوعات الجلدية

والأقمشة[١٠٦].

فضلاً عن وجودها في اللغات المستخدمة في هذه الانحاء، حيث تزخر بالكلمات العربية التي دخلت قواميسها.

أن أهم معالم الفن الاسلامي في يوغسلافيا التي مازالت تحتفظ بحيويتها حتى الآن، تقع في مناطق البوسنة والهرسك، التي يدين معظم سكانها بالديانة الاسلامية نسبة للأديان الأخرى المتواجدة فيها، وكذلك في أحياء المدن في مقدونيا وكوسوفا وسنجق وغيرها، ولم يكن هذا مايتعلق بفن العمارة الاسلامية فحسب، بل وفي مواضيع الحياة اليومية التي أثرّت في تكوين الذوق الجمالي، والعلاقة بين الانسان والوسط الذي يعيش فيه، وبصورة عامة، علاقة الانسان بالفن. ولم يتوقف ذلك عند هذا الحد، إذ أن المواضيع الفنية العربية، وجدت لمساتها إبان الحكم العثماني في الإعمار والزخارف والفسيفساء، حتى في بناء الكنائس والأديرة، وطرق تزيينها، فقد وجد الفن الاسلامي، خلال ا لقرنين السادس عشر والسابع عشر في بعض الكنائس المقامة في مناطق البوسنة، وكذلك في المنسوجات، إذ نجد في بعض الكنائس المشيدة في دالماتسيا الواقعة على البحر الأدرياتيكي، الأغطية المنسوجة، وهي مطرزة بزخارف شرقية عربية أعطت مثالاً للتصميم الشرقي الذي أثّر في فن التصميم الغربي بما يشير الى أن تقبل هذا الفن ليس عند الأوروبيين الذين اعتنقوا الاسلام فحسب، بل وحتى عند المسيحيين الذين احتكّوا به[١٠٧].

ويذكر المؤرخون أنه قبل مجيء الشعوب السلافية الى شبه جزيرة البلقان واستيطانهم فيها، وتحديداً، على الأرض التي كونت يوغسلافيا - السابقة - تطورت خلال التاريخ أنواع من الثقافات والفنون الشرقية والغربية، حيث

---

(١٠٦) حول هذا الموضع انظر: الموقف الأدبي/ اتحاد الكتاب العرب بدمشق العدد ٢١١ (ص١٧٦ - ١٧٨)

(١٠٧) انظر: المصدر السابق

بدأ السلاف الجنوبيون يكونون دولتهم الخاصة بهم منذ القرن العاشر، وقد كان هذا التطور يجري بفعل تطوير الثقافة عند الشعوب المجاورة إذ أسهم ذلك في تطبع مجتمعات الأقاليم بتقاليد وعادات متباينة تبعا لقرب كل اقليم من البلد الذي تأثرت بثقافته... فالثقافة والفنون الشرقية، وجدت لها مكاناً في مقدونيا وصربيا وكوسوفا، والجبل الأسود، في حين طبعت الثقافة الغربية، المناطق المطلّة على البحر وبعض المناطق التي تفاعلت مع عناصرها من الثقافة البيزنطية، ومن هذه المناطق، دالماتسيا وكرواتيا وسلوفينيا، التي اكتسبت تلك التأثيرات عن طريق البحر عبر ايطاليا والنمسا[١٠٨].

وبعد مجيء العثمانيين، انتقلت تأثير عوامل الثقافة والفنون الاسلامية الى المناطق الممتدة من مقدونية حتى دالماتسيا، حتى تغيرت بعض تلك الأنماط الثقافية التي كانت سائدة فيها، فتوغّلت الأنماط الجديدة عن طريق الأحياء السكنية والقلاع وغيرها بأسلوب جديد فرضته علاقات الحكم الجديد.

وقد عرفت يوغسلافيا في القرن السادس عشر، أول معماريين محليين هما: النجّار «حاج ابراهيم» والمعماري «سنان»، اللذان عملا في تصميم عدد من المساجد والأبنية في مدينة سراجيفو وغيرها من المدن اليوغسلافية التي تنتصب فيها تلك الشواهد على عظمة هذين الفنانين اللذين خلفّا آثاراً ذات قيم فنية وجمالية كبيرة. وأن أهم ماخلّده ذلك العصر... انشاء القلاع والجسور، والمدارس، والمكتبات، وغيرها... هذا وان البحث عن تفاعل تأثيرات الفنون والثقافات المختلفة في الشعوب القاطنة في شبه جزيرة البلقان، حيث حددت... الاتجاهات التي تشير الى جذور تلك الظواهر البارزة في المجتمع اليوغسلافي[١٠٩].

---

(١٠٨) انظر المصدر السابق
(١٠٩) انظر: المصدر السابق

الفن الاسلامي العثمـاني:

يمكن تمييز ثلاثة طرز فنية أو هندسية في مساجد يوغسلافيا: طراز «بورسا»، (نمط عثماني أولي)، و(طراز استانبول الأولي)، و (طراز استانبول ا لكلاسيكي).

فالطراز الاول الذي يعود الى القرن الخامس عشر الميلادي المتأثر أحيانا ببيزنطة يتمثّل في أروع مظاهره في «جامع السلطان مراد الثاني» (المشيّد في سكوبيا) (٨٤٠ هـ ١٤٣٦ م).

في طراز استانبول الأولّي (القرن الخامس عشر الميلادي والسادس عشر)، قاعة الصلاة التي تعلوها قبة تمتد وتستطيل عن طريق اضافة نصف قبة، في حين يزّين الداخل رواق مقنطر. ومن الأمثلة على هذا الطراز :«مسجد محمد الفاتح» في بريتشينا، عام (٨٦٥ هـ) و (١٤٦١ م). و(جامع مصطفى باشا) «في سكوبيا (٨٩٧ هـ ١٤٩٢ م) الذي كان يضاهي في بنائه المباني المشيّدة في استانبول ـ في ذلك الزمن و(جامع شارينا) في «تيتوفو[١١٠]».

أما الطراز الكلاسيكي الذي يجمع الطرز السابقة له، مع توازن تام، وانسجام بين الحجم والخطوط، فيتجلى بوضوح في «مسجد غازي خسروبك»، و «مسجد الأمبراطور» في سراجيفو ، و «مسجد ا لآغا»، في فورسا ومسجد «كاراجوزبيك» في موستار[١١١]. و «مسجد جني» في «ترافنيك».

وبالتوازي مع المساجد والبنايات الدينية الاسلامية، تشمخ في كل مبان أهمية الجانب الجمالي، فالمدارس والحمامات ـ كحمام داوود باشا الذي

---

(١١٠) تيتوفوTETOVO: مدينة مقدونية غربي العاصمة سكوبيا وتبعد عنها ٤٢كم

(١١١) موستارMOSTAR: عاصمة الهرسك والمشهورة بجسرها العظيم التاريخي المبني عام (١١٩٠ هـ ١٧٧٦ م)

امتزج فيه الفن الاسلامي بالنماذج البيزنطية في أسلوب البناء ـ والفنادق، والأسواق، ومستودعات البضائع، كلها تساهم في إغناء المنظر العام للمدينة.

واخيراً لابد من التنويه بالعبقرية المعمارية التركية التي برع فيها مهندسون عديدون، أمثال :«سنان الكبير[١١٢]»، (الذي كان قد تجلى فنه وعبقريته في: «مسجد استانبول الأزرق» و «جسر فيشي غراد[١١٣]».. (المقام على نهر درينا)

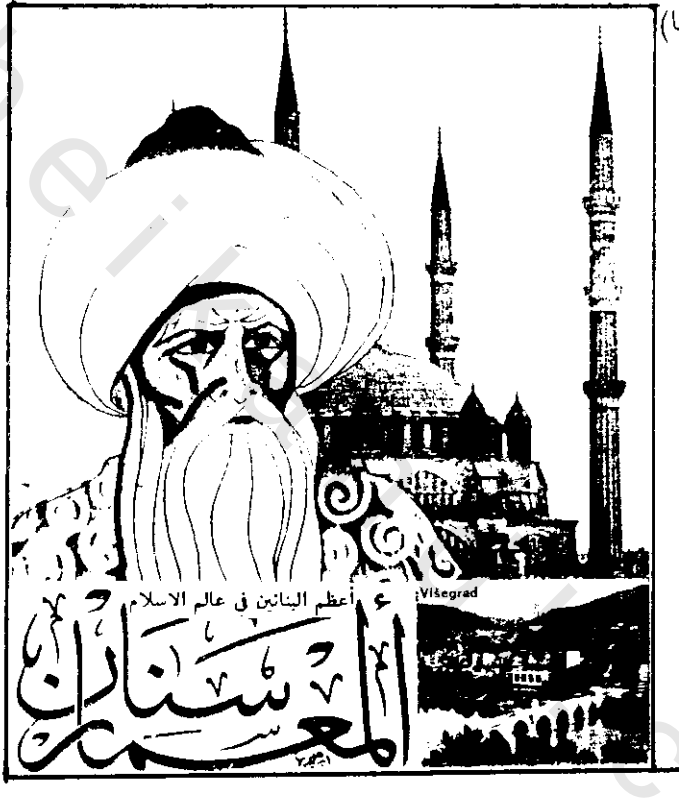

(١١٢) انظر: مجلة نور الاسلام/ تصدر كل شهرين في بيروت، العددان ١٧ و ١٨ السنة الثانية محرم وصفر ١٤١٢هـ ـ تموز وآب ١٩٩١ م (ص٧٨ ـ ٧٩)

(١١٣) فيشي غرادVIŠEGRAD: تقع على نهر درينا شرقي سراجيفو، على حدود صربيا وجسرها التاريخي العظيم، تم بناؤه عام «٩٨٥ هـ ١٥٧٧ م»، استغرق العمل فيه سبع سنوات، انظر: الفصل الخامس ـ التالي ـ .